السنة الثامنة العدد ٧ ١ نيسان سنة ١٩٠٥

المشرق

وحدة اصل اللغات

كما اثبتها العلّامة الايطالي ألفريد ترُمباتي

نبذة للدكتور اوجانيو غرفيني مدرّس العربيّة في ميلانو

وكانت الارض كلها لساناً واحداً
ولغةً واحدةً (تك ١١:١)

قد طُبع الانسان على الرغبة في معرفة اصل الاشياء لكنّ رغبتهُ في الوقوف على تاريخ جنسِهِ الاصليّ اعظم واشدّ. وذلك ما يدفعهُ الى التنقيب عن نشأة الخليقة واحوال البشر الاوّلين وطبائع العمران القديم. وكما انّ الفلكيين يشخصون الى الاجرام العلويّة ويرصدون حركاتها ليقفوا على قواعد دوران الافلاك فكذلك الذين يبحثون عن تاريخ البشر فانهم يعملون النظر في كل الآثار المنبئة باخبار الانسان ليستكشفوا عن احوالهِ الاجتماعيّة لانّ تاريخ الانسان مما يهمّ الانسان اكثر من تاريخ العالم او تاريخ الارض فترى العلماء والاثريين يترقَّبون الردوم والحفريات ويتبطَّنون الكهوف ويتبيَّنون سواحل الانهار حيثما يؤملون وجود شيء من بقايا الشعوب الاوَّلين حتى اذا وقفوا على خزَّان او ادوات مصنوعة او آنية خشبية او اسلحة عاديّة او عظام رميمة جمعوها بكل حرص في المتاحف واستنطقوها عن الهيئة البشريّة في اطوارها الاوَّلية

على انَّ الله سبحانهُ وتعالى قد اتاح للبشر طريقًا اخرى تؤدي بهم الى معرفة جزء من تاريخ آبائهم الأوَّلين وتمكّنهم من حلّ بعض المشاكل المتوطة باصل الامم كالعلاقات التي كانت بينهم من وَشْج رحم ومشابهة سحنة ومناسبة خلق فضلًا عن انها تميط الحجاب عن حوادث مجهولة وتثبت حقائق كتابيَّة راهنة وانَّ هذه الطريقة الَّا النطق الذي خصَّ بهِ تعالى الانسان وبهِ انزرهُ من الحيوان الاعجم. ولمَّا كان النطق يبدو خصوصًا باللغة فاللغة البشريَّة هي ادلُّ دليل على تاريخ اصل بني آدم. وذلك ان اللغة اشبه بخزانة أُودعت فيها كنوز الهيئة الاجتماعيَّة فانتقلت من جيل الى جيل وهي تتكيَّف بكيفيَّات شتَّى مع طول الزمان واختلاف الامكنة دون ان يصيبها تغيير جوهري بحيث نجد فيها الدلائل الكافية لتحقّق انَّ هذه الخزانة هي الخزانة الاصليَّة الحاوية لكنوز الأوَّلين. والحقُّ يقال انَّ اصل اللغة اصل الانسان عينهِ ومن تحقَّى في درس اللغات وجد اعذبَ مورد يستقي منهُ تاريخ الورى واضوأ نور يعلمهُ مبادئ الجنس البشري ولذلك تدعى اللغة « حياة عقول همدت » (l'expression de la pensée fossile)

وقد اضحت الكنيسة منذ بدء النصرانيَّة اكبر عامل على درس لغات الشعوب وذلك على طريقة عمليَّة ونظريَّة معًا. فامَّا عمليًّا فلأنَّ المسيح كان وجَّه تلامذه الى الامم ليتلمذوها ويدعوها الى الخلاص دون تمييز يهودي او وثني متمدّن او همجي. وهو امر لم يكنهُ ان يتمَّ الَّا بمعرفة لغات تلك الامم وفهم لهجاتها المختلفة. وامَّا نظريًّا فلأنَّ تعليم الدين كان متوقفًا على درس الاسفار المقدَّسة والاسفار المقدَّسة كتبت بالعبرانيَّة والكلدانية واليونانية وذلك كان يقتضي معرفة هذه اللغات لتفسير معانيها الصحيحة ثمَّ نقلت هذه الاسفار الى لغات اغلب الشعوب تسهيلًا لانتشار الدين واستلزم ذلك وضع التصانيف المتعدّدة من معاجم وكتب لغة وتاريخ وجغرافية في هذه اللغات فمهَّدت كل هذه الدروس الطريق للمقابلة بين ألسنة المعمور وسهَّلت البحث عن اصل الامم. قال الفيلسوف الالماني الشهير لَيبنتز في القرن السادس عشر: « لا طريقة للبحث عن اصل الامم الَّا بمقابلة اللغات بعضها ببعض ». ثمَّ تقدَّمت هذه العلوم اللغويَّة في القرون الاخيرة تقدُّمًا عظيمًا حتَّى قام في اواسط القرن التاسع عشر احد جهابذة العلماء وهو فرنسيس بُپ (F. Bopp) فانشأ علم مقابلة اللغات. ولهُ التأليف البديع في

اللغات الآريّة اعني لغات الهند والفرس واللغات الاوربية باسرها فشرح قواعدها وقابل بين تصريفها ونحوها لبيان العلاقات التي تجمع بينها . ولم يكتفِ بذلك بل وسّع نطاق نظره فاعتبر اللغات القديمة والحديثة فردًا فردًا ثمَّ اجمالًا فعرّف خواصّ كل لغة وعلاقاتها مع شقائقها عنَّهُ يستدلُّ بذلك على وفاقها او تباينها . ثم لمّا وجد لهذه اللغات شُعبًا وطوائف شتّى على حسب انسابها اخذ يبحث عمّا يرى بين هذه الانساب من التشابه والاختلاف راجيًا بذلك ان يثبت وحدة اصلها (monogénesie) او تعدده (polygénésie) ومن البديهيّ ان من امكنهُ بيان وحدة هذه اللغات يبيّن ايضًا في الوقت عينهِ ببرهان قاطع وحدة اصل الجنس البشريّ كما رواها موسى النبي في سفر التكوين

ثمَّ مات العلّامة بُپ قبل ان ينجز عملهُ ويبتّ حكمًا في شأن وحدة اصل اللغات . نعم انهُ وُجد في كل عصر قوم من العلماء كانوا يذهبون الى انَّ اللغات كلّها كانت في الازمنة السابقة للتاريخ مشتقة من اصل واحد الّا انهم لم يتوفقوا الى اثبات الامر بطريقة علميَّة مبنيَّة على البيّنة والحجّة . وانما ذلك قد ظهر اخيرًا على يد احد مشاهير اللغويين الايطاليين وهو الاستاذ الفريدو ترمباتي (Prof. Alfredo Trombetti) الذي نبغ في زماننا وخصّ نظرهُ بهذه الابحاث واحرز لهُ من الشهرة ما بلغهُ الى سَمت المجد فانهُ منذ عدَّة سنين لم يزل يواصل دروسهُ في هذا المعنى حتى بلغ مرامهُ ونشر المقالات المتعدّدة تأييدًا لرأيهِ . واوّل ما استوقف به ابصار العلماء نبذة نشرها في سنة ١٨٩٧ في الالمانيّة كان عنوانها « ابحاث لغويّة آريّة وساميّة » (١ بيّن فيها ما تشتمل



الاستاذ الفريد ترمباتي

(١ Trombetti A.: *Indogerman. u. semit. Forschungen*, Bologna, 1897.

عليه من العلاقات اللغات الآريّة (اعني لغات الهند واوربّة) واللغات المنسوبة الى بني سام وبني حام واستنتج من هذه المشابهة إمكان توسيع مجال هذه الابحاث. فكان لهذه الطارفة وقع حسن في الدوائر العلميّة لاسيّما انهُ نشرها بالالمانيّة التي اضحت في هذه السنين كاللغة الرسميّة للعلوم الشرقيّة فتهافت الى مطالعتها العلماء واثنوا على صاحبها الثناء الطيب

ثمّ عاد الى هذه المواضيع المفيدة بعد اربع سنوات فنشر في عددين من مجلّة الجمعية الاسيويّة الايطالية (١ خلاصة ابحاثهِ الجديدة ومكتشفاتهِ المتحدثة في رسالتين وسمها بهذا العنوان: « بحث في الروابط الجامعة بين اللغات القوقاسية وبين طائفة اللغات السامية والحاميّة» (وهي طبقة واحدة في الرأي الشائع الآن) وبقية طوائف اللغات (٢ » ثمّ جعل يدقق النظر في طبقات اخرى من لغات الشرق الاقصى واستراليا واوقيانيا وذلك على اثر ما بيّنهُ سابقًا من القوانين اللغويّة لينال من درس تلك اللغات انوارًا جديدة لاثبات قضيّتهِ . وقد عرض في الصيف الماضي مجموع ملحوظاتهِ مرتّبة على بيان مفصَّل وشرح مدقّق امام اعضاء محفل رومية العلمي المعروف باكادمية اللِنجي (Rᵃ Accademia dei Lincei) في مجلس احتفالي تصدّر فيه جلالة ملك ايطالية فكتور عمانويل الثالث فنال صاحب المقالة جائزة ملكية قدرها عشرة آلاف فرنك ومُنح رتبة استاذ لتعليم مقابلة الالسنة (glottologia comparata) في كليّة بولونية . وفي اواخر كانون الثاني من السنة الجارية افتتح الاستاذ ترمباتي دروسهُ بخطبة مستجادة كرّرها بعد ذلك بيومين في مدينتنا ميلانو وضمّنها ملخّص اكتشافاتهِ وموارِدها وحدودها وما لها من العلاقات بالعلوم غيرها لاسيَّما تاريخ البشر. وقد رأينا ان نعرّب لقرّاء المشرق نُتَفًا من مقالاتهِ ملتقطين منها النوادر والفوائد قال:

« انّ في حلّ مسألة وحدة اصل اللغات خطرًا عظيمًا اذ ان بفكّها يزول ايضًا مشكل آخر فيبطل زعم الذين يذهبون الى اختلاف اصل الاجناس البشريّة (polygénésie anthropologique) وهما مسألتان تفرّقت فيهما الاقوال على اربعة اقسام. فقال قوم بوحدة اصل اللغات واصل الاجناس معًا وهو قول موسى الكليم في

١) Giornale della Società Asiatica Italiana. vol. XV e XVI

٢) Delle relazioni delle lingue caucasiche con le lingue camito-semitiche e con altri gruppi linguistici

الاسفار المنزلة . وانكر قوم آخرون هذه الوحدة سواء كانت في اللغة او في الاجناس وهو رأي الذين يحاكون اقوال الكتاب المقدس . وذهبت فئة ثالثة الى وحدة اصل اللغات دون الاجناس . وارتأى هاكل (Haeckel) وفردريك مولر (F. Müller) على عكس ذلك ان اصل الاجناس واحد دون اللغات . فهذه اربعة آراء ليس لها خامس » . والاستاذ ترمباتي يُغلِّب الرأي الاول الذي هو رأي المنطق والعلم فضلًا عن تعليم الاسفار الالهية وكل ابحاثه تؤيده تأييدًا باهرًا كما سترى . ثمَّ اردف قولهُ :

« وقبل ان اخوض في هذا البحث لا ارى بُدًّا من بيان رأيي في العلائق الموجودة بين علم مقابلة الالسنة وعلم طبيعة الانسان : فانَّ العلماء لم يشكُّوا حتى اواسط القرن الماضي في انطباق اصل اللغات على اصل الاجناس البشرية لكنهم عرفوا بعد ذلك انَّ سمات قبائل البشر [illegible] ليست بالضرورة من [illegible] تنتقل حتمًا بالوراثة اذ نرى شعوبًا تركوا لغتهم الاصلية وتكلَّموا بسواها بحيث لا يمكن ان تتبيَّن اصل امة بمجرَّد الحكم عن لغتها . والعكس بالعكس . لكنَّ البعض قد جاوزوا الحدود في هذه النتائج حتَّى اعتدُّوا الامر الممكن فعلًا واقعًا ولو اعملوا رائد العقل لتحقَّقوا انهُ يوجد في اغلب الاحيان تناسب بين التقاسيم الجنسية والاصول اللغوية . لانَّ اللغة عادةً (ولاسيَّما في الازمنة الاوَّلية) تنتقل بالوراثة من الآباء الى بنيهم . فاذا ثبتت وحدة طبقات اللغات امكن ايضًا تأكيد وحدة الشعوب التي تكلَّمت بها

*

« ولكن دعنا الآن من امر الاجناس البشرية وعلم طبيعة الانسان ولننظرنَّ أهو مُمكن ان تُثبت وحدة اللغات الاصلية وكثرتها بناء على مبدأ اوَّلي قاطع بلا استقراء ؟ فالجواب انَّ ذلك لا يُستطاع دون مقابلة هذه اللغات والبحث عن توأميتها المختلفة غير ان اللسان قد وُجد مع الانسان الذي جعلهُ الخالق ناطقًا لمَّا ابدعهُ . وتكوين الانسان حدثٌ قد مرَّ عليه الوف من السنين بحيث يصعب تتبُّع الالسنة جيلًا بعد جيل فينبغي اذن درس اللغات المختلفة كما نراها اليوم ونسعى ببيان وجوه توافقها . وان قيل انَّ كثيرًا من هذه اللغات حتى اليوم لم يُعرف لها رابط مع اللغات الشائعة أجبنا انَّ هذا ليس بسبب كافٍ يمنعنا من البحث عن قرابة هذه الالسنة . فما قولك مثلًا لو أنكر رجلٌ وحدة المادَّة بناء على انَّ الطبيعيين حتى اليوم لم يحلُّوا العناصر البسيطة .

أفلا تكون حجّتهُ باطلة ؟ . فكذلك الالسنة فانَّ عدم وجودنا لعلاقات بعضٍ منها بالبعض الآخر ليس برهاناً كافياً لجحود هذه العلاقات . ولنا دليل باهر على هذا القول انَّ لغات كثيرة كان العلماء سابقاً يزعمون تفرُّدها عن سواها فأقرُّوا بعدئذٍ بدخولها في حكم غيرها من اللغات . وفي السنة ١٨٧٧ وجد العلّامة فردريك مولّر انَّ ٧٨ لغة من اللغات كانوا انكروا قبلًا ارتباطها بغيرها يمكن تحليلها وردّها الى اصول واحدة ثمَّ رفع هذا العدد الى المئة

« ومن اللغات التي كان العلماء يزعمون خروجها عن حكم بقيَّة الالسنة اللغة اليابانيَّة حتى قام سيبُلد (Siebold) ومن بعده بولر (Boller) فأثبتا انَّ هذه اللغة احدى اللغات المتعدّدة المعروفة بالاورالية الالطائيَّة (ouralo - altaïques) وكم من لغة اخرى بعدها حلَّل العلماء اصولها وكشفوا اسرارها وبيَّنوا روابطها مع غيرها . ولو اردتُ ذكر التآليف التي وُضعت في مقابلة اللغات منذ السنة ١٨٧٧ الى اليوم لطال بي الكلام . وكفاني تأييداً لقولي انَّ ستينتال (Steinthal) حاول سنة ١٨٧٩ ان يبيّن تفرُّد اللغات الاوستراليَّة عن بقيَّة اللغات لكنَّ شنور فون كاروسفلد (Schnorr von Carolsfeld) زيَّف رأيهُ وقرَّر بانَّ اللغات الاستراليَّة فرعٌ من اللغات الاوقيانيَّة

« ومما يحصل من هذه الدروس المتعددة انهُ يُمكننا اثبات قرابة اللغات ووحدتها الاصليَّة اللهمَّ اذا لم يمحُ الدهر كل الادلَّة المشيرة الى هذا الاصل الوحيد . وعلى خلاف ذلك لا يمكن البتَّة اثبات رأي تعدُّد اللغة في اصلها . ولكن يا ترى هل بقيت آثار كافية لبيان هذه الوحدة الاصليَّة ؟ ألم يطرأ على اللغات طوارئ ازالت كل دلائل قرابة بينها كما ظنَّ بعض العلماء الذين يسلّمون باشتقاق كل اللغات من اصل واحد لكنهم يرون انَّ اسباب الفساد قد استولت على الالسنة فزاد تباينها الى حدّ لا يمكن بعده اظهار التحامها ووحدتها الاصليَّة ؟ . امَّا نحن فنرتأي على عكس ذلك انَّ بيان وحدة اصل كل اللغات من الامور الممكنة رغماً عمَّا طرأ عليها من التقلُّبات الجمَّة . وذلك ما توخَّينا اثباتهُ منذ سنين طويلة افرغنا فيها كنانة الجهود لبيان هذا الامر الخطير . ولا نجهل انَّ دون ادراك هذه الغاية عقبات ومشاكل متعدّدة ولكن ليس الامر يستحيل اذا ما جرينا على طريقة نظاميَّة واسلوب علمي مدقَّق

« اعلم انَّ كل الذين حاولوا من قبلنا اثبات النسب بين فئات متعددة من اللغات ... كرينيش (Reinisch) وادكنس (Edkins) وبلتزمان (Platzmann) قد جروا لتحقيق غايتهم على طريقة اولدت في قلوب الاكثرين الريب والشكّ بدلًا من الاقتناع لانهم لم يقصدوا في احتجاجهم سواء السبيل بل عدلوا عن الطريق المستقيم. وذلك انهم ارادوا ان يقابلوا بين اللغات المتباينة دون ان يتتبعوا حلقات سلاسلها حلقةً حلقةً بحيث تُرى وجوه انسابها فعمدوا مثلًا الى اللغة اليونانيّة وقابلوا بينها وبين اللغة المالزيَّة فخاب مسعاهم وحبط جهدهم. والصواب في ذلك أن تؤخذ اللغات على حسب اتصالها الجغرافي فيُقابل بينها كما يُقابل بين حروف الهجاء المتوالية: ا مع ب. وب مع ج. وج مع د الخ. حتى اذا تمَّت هذه المقابلة رأسًا وثبتت العلاقة بين كل حرفين متصلين يثبت ايضًا الرباط بين الحروف المتباعدة كعلاقة ا مع ي. وهذا ما باشرتُ اثباتهُ منذ سنين عديدة ولم ازل أُفرغ فيه كل مجهودي حتى انجزتُ العمل ونلتُ اكثر ما كنتُ مؤملهُ فتوضّحت لي العلاقة ليس فقط بين اللغات المتواصلة بعضها لكن ايضًا بين اللغات البعيدة بحيث يظهر توافقها في القواعد اللسانيّة وتراكيب المفردات

« فالطريقة المُثلى اذن التي انتهجتها لبيان وحدة اصل كل اللغات انما هي طريق « الحلقات المتوسّطة » فمن انتهجها كما فعلتُ أدّت به الى معرفة ما يوجد من الرباطات الوثيقة بين كل لغات الشعوب حتى اقاصي المعمور ولاحت له هذه الحقيقة بلا ريب. وكنتُ اذا قابلتُ لغةً او مجموع لغات بلغات اخرى اعرض اوَّلًا بين قواعدها الغراماطيقيّة ثمَّ اردف ذلك بمقابلة المفردات بعد تحليل هجاتها ومقاطعها الاصلية ثمَّ اعتبر قوانينها في رسم وابراز اصواتها. وقد تحقّقتُ انَّ كثيرًا من هذه المقاطع الاصلية قد ثبتت على توالي الادهار وكرور الاعصار لثبوت اصواتها ولبقاء معانيها محدَّدةً ولهذا ترى بعض هذه الاصوات الاصليـة قد انتشر انتشارًا عجيبًا كصوت « ما » للمشروب. وصوت « اي » للذهاب. وصوت « پي » للطبخ وهلمَّ جرًا »

وقد اتى المسيو ترمباتي في المقالات التي نشرها بأمثلة كثيرة تستغرق اعدادًا كاملة من هذه المجلة أيَّد بها صحّة قوله عن وحدة اللغات فمن ذلك الفاظ عديدة نشرها في مجلة الجمعية الاسيويّة الايطالية من السنة ١٩٠٣ (ص ١٤٧—١٧٠) هذه بعضها:

(الشمس) اسمها في لغات القوقاس b-za و m-ze وفي التورية mà-za و ma-sa وبطريقة قلب الحروف او تقديمها او تأخيرها تنال الاصل sawel والاصل « ش م س » فعلى الاول مبنى اسم الشمس في كل اللغات الهندية الاوربية مثلاً sol باللاتينية وعلى الثاني اسم « الشمس » في كل اللغات السامية

(النور) نجد في اللغات القوقاسية barq و bargh و varxhi و barhi و virix و baq و begh وفي اللغات السامية الاصل « ب ر ق » وبالقبطية ⲂⲣⲎⲄⲈ وكذا نجد في اللغات الآرية bhe-ieg و bhe-reg فالمقطع الاول يُرى في اللغات الآرية الحديثة كاليونانية φέγγος وفي الاصل السامي « بها » كاللفظة « بهاء » العربية وفي الهيروغليفية او المصرية القديمة b' وفي اللغات الكوشية كلغة قبائل ساهو ifo ولغة الصومال iftin ولغة الكالّا if والقاء (F) في لغة البربر في افريقية الشمالية – امَّا المقطع الثاني فيرى في اللغات القوقاسية مثل ragh و regh و righi معناها الشمس وفي المصرية القديمة re' (وقد كتبوه بالقلم الهيروغليفي على هذه الصورة O) وفي القبطية PH وفي لغة البشكنش (basque) argi يعني نور وفي لغة البربر reg و erg معناها البرق

(الماء) نجد في اللغات القوقاسية seri بمعنى الماء والسيل وبالهيروغليفية sr بمعنى الماء وبالتورية sare وباللغة الخاوية والمالبرية suri و sore – وفي اللغات اللاتينية الاصل ser الخ

(الحفرة والكهف) في اللغات القوقاسية kovel و khuvil و khvabi وباللغة الليقية χupa وبالارمنية կուպ وبالسريانية ܓܘܒܐ اي حفرة وباليونانية κύπη و κύπελλον وفي اللاتينية cupa و cuppa وبلغة البشكنش hobi و obi وبالتركية كوپ . والتورية ghobi الخ .

(الحجر والصخر) في الكرجية ولغات القوقاس khwa و khua في التبتية kiyi وفي الجرية kov وفي العبرانية כף وفي السريانية ܟܐܦܐ وفي اللغات الهندية a-gef الخ

(التراب) وهو من اعجب الامثلة فهو في لغات جنوبي افريقية tsara-b وفي اواسط افريقية tor وبلغة الدنكا tur وعند قبائل يَمْيَم « turu-bu » وبالعربية تُرْب وتُراب وفي بلاد القوقاس m-tweri وبالكرجية tweri وفي التركية طوپراق بدلاً من طورباق وفي اللغة المنولية tor-tuk وفي المنشورية toro وفي لغات التنكوس turu و tor و tuor وباليابانية twiri وفي اللاتينية terra

(الكلب) في اللغات القوقاسية الشمالية χu و χoa و χwaj و χoj وفي الجرية ku-t-ya وفي اللغات الآرية k'u-n و k'u-on وفي التبت kyi وفي برمانية k'we وفي الصينية k'iu-en وفي اللغات الهندوصينية ku وفي اللغات الاوقيانية kui و kaua و kau – واذا زدت على آخره حرفاً ذلقاً وهو الراء وجدته على صور متعددة منها في اللغات القوقاسية χoar و χor و dzogor و zogori وفي لغة البشكنش hor و or وفي التبتية koira وفي المصرية القديمة whor وفي القبطية ϩⲟⲣⲡ و ϩⲟⲱⲡ وفي الحبشية kare و sare وفي اللغات الصينية والهندية a-chor و chor وفي لغات اوقيانية kuri وفي جزائر فيجي koli الخ

وعلى هذه الطريقة تتبَّع العلَّامة ترومباتي الوفاً من الالفاظ وبيَّن بقوانين ثابتة ما

يحسبها من التغيير بين الشعوب المختلفة . وقد فحص الفاظًا من كل باب كاسماء المعادن والنبات والحيوان واعضاء الجسم والاطعمة ثم الالوان والصفات وظروف المكان والزمان ثمَّ الافعال وجمع كل ذلك في كتاب لا يزال مخطوطًا عرضهُ على اعضاء اكادمية اللنجي في رومية العظمى وينشره عمَّا قليل على نفقة جلالة الملك فكتور عمانوئيل الثالث

وممَّا قالهُ الاستاذ ترمباتي في مقالة رائقة اوضح فيها اعتاده في حقيقة وحدة اللغات الاصلية ما تعريبهُ :

« اني تأكدت بعد مراجعتي الوفا من المعاجم والقراماطيقات كتبها العلماء في كل لغات المعمور في ازمنة وامكنة شتَّى انَّ لغات العالم القديمة كلها مشتقَّة من اصل واحد . وبعد تحليل هذه اللغات يظهر انَّ لغات جنوبي افريقية المعروفة بلغات البنتو هي اقدم كل اللغات . وان كانت اللغات الهنداوربية الاصلية ترتقي الى نحو اربعة آلاف سنة واللغة الحامية والسامية الى نحو ثمانية آلاف سنة فانَّ لغات البنتو تبلغ ضعف هذا الزمان . فتتراوح اصول اللغات القديمة بين ٣٠٠٠ و ١٥٠٠٠ سنة . ولنا دليل على ثبات اللغات الآرية منذ ٣٠٠٠ سنة فانَّ ما جرى عليها من التقلبات لا يمنع من معرفة وحدة اصليا . وفي الاصول الثلاثية في اللغات السامية ما هو ضامن لبقائها زمنًا اطول من ذلك كبقاء المستحجرات من هياكل النبات والحيوان . ولو كان مرَّ على هذه اللغات زمنٌ اطول ممَّا تقدَّم فانتشرت مثلًا قبل مئة او مئتي الف سنة لما امكن اثبات وحدة الألسنة الاصلية لما يكون طرأَ عليها من طوارئ الفساد . فاذا استطعنا ان نجد هذه الروابط بين اللغات كلها فذلك دليل على انَّ اقدمها لا يتجاوز الزمن الذي عيَّناه . وزد عليه انَّا نعلم بانَّ بعض احوال الشعوب من زمان ومكان وحطّ وترحال تساعد على تغيير النتيجات وتقلّب الالسنة بزمن وجيز كما جرى للالسنة القوقاسية وحول جبال همالايا وفي غينية الجديدة وبعض اقطار اميركة (١ »

« هذا من قبيل الزمان امَّا من قبيل المكان فقد قسم العلامة ترمباتي كل اللغات

---

١) وهذا ما جرى ايضًا للغة العربية في هذه القرون الاخيرة فانَّ كل هذه النواميس قد تمَّت بها تمامًا (ا . غ)

واللهجات المعروفة من قديمة وحديثة على ترتيب جديد وهو ابسط ما جاء في هذا الموضوع كما ترى :

		عدد الطبقات
افريقية	في القسم الجنوبي : لغات البنتو	طبقة
	القسم الشمالي : اللغات الحامية والسامية	طبقة
اوراسية (١	لغات القوقاس	طبقة
	اللغات الآرية او الهندية والاوربية	طبقة
	لغات الاورال والآلتاي في شمال آسية (Oural-Altaï)	طبقة
	لغات الدراڤية في جنوب الهند (Dravidiques)	طبقة
	لغات ذات مقطع واحد في كل كلمة في الشرق الاقصى	طبقتان
اوقيانية (٢	الطبقة المالزية والپولينزية	طبقة
اميركة	لغات شتّى شماليّة ووسطيّة وجنوبيّة لكلها طبقة واحدة	طبقة
اربعة اقسام كبرى		عشر طبقات صغرى

وبخصوص تعريف منبع اللغات او اول نقطة اندفاقها فيظنّ العلامة ترمباتي ان اللغة الاولى اي لغة الأمّ قد تكوّنت في نقطة من نقط البرّ الاوراسي لعلّ موقعها ما بين بلاد القوقاس ونجود التبّت (Tibet) ووافق ذلك في ظنّه مع انتشار البشر على وجه الارض الذي جرى ويجري على نمط انتشار الامواج على وجه المياه.

١) أطلقت حديثاً لفظ اورَسيا (Eurasia) على اوربة وآسية ممّا كانتا برٌّ واحدٌ

٢) تشتمل هذه التسمية على البرّ الاسترالي وجزائر اوقيانوس الپاسيفيكي

الأغذية في سوريّة

بحث للدكتور هنري نكر احد اساتذة مكتبنا الطبي الفرنسوي (تابع)

الخبز

بعد النظر العمومي في الاغذية وقوانينها الصحيَّة حان لنا أن نفحص كل صنف من الاطعمة لتعريف خواصها الغذائيَّة وشروطها . ولمَّا كان الخبز اساساً لكل غذاء قُضي علينا ان نباشر بهِ كلامنا

اعلم انَّ الخبز اوَّل كل طعام بل ربَّما كان مرادفاً لكل قوت فيكتَفى بهِ عن اي طعام كان . فيقال عن الفقير المعوز انهُ محتاج الى الخبز واذا غلبت المجاعة طلب الجائعون خبزًا . وفي الانجيل الطاهر امرنا الرب ان نطلب خبزنا اليومي دلالةً على طعام الجسد وقوت النفس معاً . وجاء في العهد القديم غير مرَّة ذكر الخبز بمعنى الوليمة والدعوة . وخلاصة القول انَّ الخبز هو سيد الأطعمة ورأسها ومن اعظم هبات الخالق لسند حياة البشر يقتات بهِ فوق . . . . من بني آدم واذا نظرت الى بلاد الله المعمورة وجدت القمح ينبت في اكثرها

وتعريف الخبز عجينٌ من دقيق الحنطة يُطبخ في الفرن بعد اختمارهِ . وعلى هذا التحديد نبني قولنا في ما سيأتي مقتصرين على اخصّ الامور دون التفاصيل المملَّة . قلنا انَّ الخبز يُتَّخذ من الحنطة لانَّ خبز الحنطة وحدها يستحقُّ هذا الاسم وفيهِ الخواص الغذائيَّة اللازمة وعليهِ فلا بُدَّ لمشتري الخبز أن يتبصَّر في ما يبتاعهُ لئلا يُخدع . والأولى ان يشتري قمحاً ويخبزهو خبزه . فانَّ في بعض الامثال الشائعة في فرنسة انَّ مبتاع القمح بصير ومبتاع الطحين اعور اذ يصعب عليهِ تمييز الطحين الخالص اما مبتاع الخبز فاعمى لكثرة ما يُخدع بالاشباه

والحنطة تختلف اختلافاً كبيرًا في تركيبها الكيموي على حسب اختلاف التربة وتباين احوال الجوّ واختلاف الغلّات نفسها . وعلى كل حال انَّ في الحنطة مادَّةً هدروكربونية (راجع المشرق ٨ : ٨٤٠) وهي النشا ثمَّ مادَّةً زلالية سكَّريَّة تدعى غلوتن (gluten) ثم اخيرًا بعض الموادّ الدهنية ونضرب صفحاً عمَّا يدخل في الخبز من الماء ومن المواد المعدنية .

امَّا تعديل نسبة الاجسام المذكورة الى بعضها فانَّ الخبز يتضمَّن ٧٠ في المئة من النشأ وواحدًا في المئة وخُمس المئة من المواد الدهنية. امَّا الغلوتن فان تحديد كميته يستدعي نظرًا دقيقًا واختبارات متعدّدة ولذلك لا يتّفق الكيماويون على تعريف نسبته فانَّ البعض يزعمون انَّ معدَّل ما يدخل منهُ ١٢ الى ١٦ في المئة وغيرهم لا يزيدون على ١٠ في المئة

ولمَّا كان الغلوتن من المواد الازوتية فعليهِ تتوقَّف بالاخصّ قوَّة الحنطة الغذائية. والاولى ان يُفرز بين القمح اليابس ذي الحبوب الصغيرة الشفَّافة وهو اغنى بمادَّة الغلوتن وبين القمح الرخص ذي الحبوب الكبيرة الكثيفة. غير انَّ الفرق بين هذين النوعين من الحنطة هو اخفّ في البلاد الحارَّة فتتساوى تقريبًا مادَّة الازوت في كليهما

ثم يُطحن القمح امَّا بحجارة الرحى كما هو الجاري في هذه البلاد واما بالطاحن الاسطوانية وهو الغالب اليوم في بلاد اوربَّة. والطحين يحتوي على كمية من النخالة تُفرَز بالنخل. وعلى قدر ما يُستخرج منها يزيد الدقيق بياضًا ونعومةً. فاذا بقي ٦٠ في المئة من الطحين كان سميذًا شديد البياض. ومعدَّل الطحين الباقي هو عادة ٧٠ في المئة

قد اشاد البعض في السنين الماضية بالخبز غير المقطوف المعجون بنخالته وكان يزعمون انهُ اشدّ غذاء وانَّ قوَّة الحنطة في نخالتها وانما كان هذا زعمًا باطلًا مبنيًّا على وهم الزاعمين انَّ اكثر الغلوتن انما هو في غلاف حبَّة القمح. وبعد الفحص المدقّق والتحليل الكيمويّ المضبوط قد تأكّد اليوم العلماء ان الخبز المصنوع من دقيق منخول الى ٦٠ في المئة من ثقلهِ يحتوي كمية من الغلوتن مساوية للخبز الذي يبقى من ثقلهِ بعد النخل ٧٥ في المئة. وزد على ذلك انَّ الخبز المستحضر من الدقيق المبالغ في نخلهِ الى ٦٠ في المئة هو اخفّ واسهل هضمًا وأبقى على الفساد

وكان العجين يُعجن سابقًا باليد كما يفعل اليوم اهل القرى. اما المدن فقد شاع فيها الآن العجن الميكانيكي بالادوات وذلك انظف واصلح للعجين الذي تكون اجزاؤه هكذا متساوية فيصير اختماره على طريقة نظامية. والخبَّاز يخبز في اليوم كيسًا من الطحين. واذا اعدَّ العجين قبل ان يجعلهُ في الفرن يأخذ منهُ فرزدقةً اي قطعةً وزنها نحو كيلوغرام تُدعى الخميرة الاولى. وفي غدٍ يضيف الى هذه الخميرة اربعة كيلوات من

الدقيق فتصير الخميرة الثانية : وفي اليوم الثالث يعجنها بخمسة عشر كيلواً فتصبح الخميرة الثالثة فيدمجها بمئة كيلو من الطحين ويجعلها خبزاً . وعلى هذه الصورة تكون عند الخبّاز في كل وقت خمائر مختلفة الكبر ودرجات الاختمار . ويتمّ العجن والتخمير عادةً قريباً من الفرن في غرفةٍ ذات حرارة خفيفة . اما الفرن فيُسجر بالوقود ويبالَغ احماؤهُ

ويكون الخبز على اشكال شتّى ومقادير مختلفة فمنهُ الطويل والمستطيل والمدوّر المُصمت ومنهُ على شبه الحلقة . وبعض اشكال الخبز السميد المتّخذ للتأنّق لا يزيد وزنهُ على مئة غرام وغيره كالخبز البيتي يبلغ الى اربعة كيلوات . الّا انّ الخبز على قدر كبره يكون خَبزهُ اطول . ويكون طبخهُ اسرع اذا كان وجههُ اوسع وابسط . ومعدّل ذلك انّ خبزاً وزنهُ كيلوان اذا كان مستديراً مُصمتاً ينضج بعد ساعة الى ساعة ونصف مع حرارة خارجية تبلغ ٢٠٠ درجة من القياس المئوي

والخبز الهشّ يكون مرناً ليناً لذيذ المطعم . وهو يفقد مرونته شيئاً فشيئاً فيضحي بعد اربع وعشرين ساعة خبزاً بائتاً . وهو اذا كان ضخماً يبقى عدّة ايام دون ان يتعفّن ومنهُ ما يؤكل في القرى بعد ثمانية ايام وازيد

الخبز في بلاد الشام

اكثر الاهلين في الجبل والقرى يستغلّون حنطتهم او يشترونها لانفسهم . فاذا احتاجوا الى خبز ارسلوها الى الارحية فتُطحن وتُنخل نخلاً غير محكم فيبقى من وزنها ٨٥ في المئة . اما العجن فيكون دائماً بالايدي تقوم بهِ النساء . ومن ثمّ لا يكون كافياً لانّ العجن يقتضيهِ قوّة كبيرة واعصاب مفتولة وعضلات متينة . وما يغني القرويين عن ذلك انّ العجنات تكون غالباً قليلة لا تتجاوز رطلين او ثلاثة ارطال من الطحين . اما تخمير العجين فهو حسنٌ كافٍ فانهم يدوفون الخميرة مساءً بقليلٍ من الطحين والماء الحارّ فتختمر هذه الخميرة كل الليل وعند الصباح يضيفون اليها مـا ارادوا من الدقيق . ثمّ يبقى العجين بعض ساعات ليختمر وعند الظهر يكون مهيّأً للخَبز

والخبز في سوريّة على شكلين منهُ الرغيف وهو يخبز في الفرن والرقيق او المرقوق ويخبز على الساج او في التنور . والخبز المرقوق لا يكون خَبزه متساوياً لانهُ في وسطهِ ارق منهُ في دائرته ثمّ انّ الساج المحمى اكثر حرارة في وسطهِ منـهُ في اطرافهِ فيحصل

من ذلك اختلاف في طبخ الخبز ونضجهِ فهو في وسطهِ كثير النضج طيب الطعم وفي دائرتهِ نهيٌ متعجن ثقيل على المعدة . وهذا الخلل اخفّ في المرقوق المخبوز في التنّور لتساوي حرارتهِ . امّا الارغفة فتُجعل في الفرن دقيقتين او ثلاث دقائق فيتكتّل الخبز وينتفخ لكنّ طبخهُ اسرع من ان يكون تامّاً فان وجههُ الاعلى لا ينضج منهُ الّا وسطهُ امّا اطرافهُ فتبقى نيئةً غير نضجة وكذا قُل عن وجههِ الاسفل . فترى انّ الخبز العربي قليل النضج اجمالًا ولهذا السبب يصعب حفظهُ زمناً طويلًا . وهو اذا خرج من الفرن هشّ ليّن فلا يمرّ عليهِ يوم او يومان حتّى ييبس فيصبح كقشرة الخشب . واذا كان الهواء ناشفاً حارّاً يبس الخبز بعد بضع ساعات وهو لا يبقى طريّاً الّا بان يُغطّى بغطاء مبلول . وعليهِ فينبغي أن يُخبز الخبز كل يوم او يومين ويُهيّأ مع الطّبخ اليومي . فهذا ما يؤخذ على الخبز البلدي الّا اننا نقرّ مع ذلك بجودتهِ لانّ القرويين يشترون حنطتهم ويرقبون طحنها فلا يدخلها شيءٌ من المواد الاجنبيّة كما هو الغالب اليوم في المدن الكبرى . وممّا يزيد الخبز طيباً انّ الحنطة تُطحن من وقت الى آخر فيكون الخبز اطيب لحداثة طحن الدقيق

ولعلّ خبز المدن دون خبز القرى لانّ الاهلين يشترون الطحين على علّاتهِ وربّما كان عتيقاً او متعفناً او مختلطاً بمواد غريبة كالذرة والبطاطا . وخلط الطحين بالذرة امرٌ شائع والذرة تجعل الخبز ذا لون اصفر يروق لهُ النظر ويبقى بها الخبز طريّاً زمناً اطول ويكون ارخص ثمناً لانّ الذرة قليلة الموادّ الازوتية لا يدخلها من الازوت الّا نصف ما يدخل في القمح . وقد فحصنا في اسواق بيروت امثلة عديدة من الطحين المبيع فوجدنا ثمن رطلهِ يختلف بين ثلاثة قروش الى اربعة قروش ونصف لكنّنا لم نجد في كل هذه الاصناف اثرًا للذرة فاستحسناً ذلك . امّا اختلاف الاسعار فيتوقّف على اختلاف النخل والنعومة وممّا لحظنا انّ حبوب النشا في الطحين الجيد اكبر منها في الاصناف الاخرى الواطئة الجنس

وممّا يجب آخرًا التنبيه اليهِ انّ قوّة الخبز الغذائيــة وان كان من البُرّ المحض تختلف اختلافاً كبيرًا على حسب ما يدخلهُ من الماء . والقانون عموماً لا يسمح بان يتجاوز قدر الماء ٣٠ في المئة . ومن ينظر الى ارغفة الخبز البلدي وطراوة عجينهِ لا يشكّ في انّ ماءهُ يزيد على هذا القدر والامر على خلاف ذلك فاننا بعد التحليل المدقّق وجدنا انّ كميّة الماء في هذا الخبز لا تنيف على ٢٩ في المئة

البرغل

ومن ملحقات الخبز البرغل وهو جريش الحنطة وذلك انهم يسلقون القمح وبعد تجفيفهِ يطحنونهُ طحناً جريشاً بحيث تتقشَّر النخالة وتتكسَّر كل حبة من ١٠ قطع الى ١٢ قطعة. فيطبخ ويؤكل بدلاً من الأرزّ وهو من حيث قوَّتهِ الغذائية افضل من الارزّ بكثير لانَّ مقدار الازوت فيهِ كمقداره في القمح امَّا الارزّ فانَّ قدر الازوت فيهِ اقلّ من القمح بضعفين وثلاثة اضعاف. ومن ثمَّ نوصي الاهلين بتفضيل البرغل على الارز لانهُ اغذى منهُ وارخص معاً لكنَّنا نشير على من يقتاتُ بهِ ان يختار لصنعهِ الحنطة الجيدة ليس اجناسها الواطئة

ويتَّخذ البرغل ايضاً لاصطناع طعام بلدي شائع جدًّا في هذه الانحاء. وهو الكبَّة وسيأتي عنها الكلام في فصل اللحوم (البقيَّة لعدد آخر)

الصناعة في لبنان وسكب الاجراس

لحضرة الاديب الفاضل عيسى افندي معلوف
مدرّس آداب اللغة العربية والخطابة في المدرسة الشرقية العامرة

لقد عرف قرَّاء مشرقكم الاغرّ قدر ما أذكيتم منارهُ من الصنائع الوطنيَّة وحضّ الاهلين على استئناف اتقانها كمقالاتكم في الاسلحة والجوهر والتطريز والحياكة والنجارة في سوريَّة ولبنان ممَّا كتبتموه حضرتكم او كتبهُ بعض الادباء. ففسحتم لهُ محلاًّ في مجلتكم وقد استزدتم الوطنيين مراراً من مثل تلك المقالات في تلك المواضيع فكنتُ ممن لبَّي وعمدت الى رسالة وضعتها منذ بضع عشرة سنة وسمَّيتها « لطائف السَّمَر في لبنان والقرن التاسع عشر » وقد ضمَّنتها كثيراً من شؤون هذه البلاد مع لُمع كثيرة عن احوالهِ السالفة والحاضرة فيما يتعلَّق منها بالصنائع والاخلاق والعادات والنقود الرائجة واثمان الاشياء الخ وهي لا تزال مخطوطة فرأيت فيها تعاليق وافية عن الصنائع اقتطفت منها هذه المقالة لعلَّها تنال من القرَّاء الكرام قبولاً وقبل الدخول في الموضوع لا أجد بُدًّا من ايراد ما حضرني من اسماء بعض الأسر

التي اشتهرت بالصنائع فنُسبت اليها مثل الحدَّاد والبارودي والساعاتي والجوهري والصانغ والحائك والنجَّار والبستاني والصبَّاغ والقطَّان (نسبةً الى القطن) والقزّي (نسبة الى القزّ) والمنيّر (نسبة الى نير الثوب) والطبَّاع (نسبة الى طبع القماش) والحوَّام (نسبة الى المنسوجات الوطنيَّة) والاسكاف والسروجي والحلاَّق والفاخوري والحجَّار والبرَّاك (وهو من يقوم على بُرَك المطاحن ويتعهَّدها) والحكيم والطبيب والكاتب والخيَّاط والنحَّاس والنقَّاش والخرَّاط والجلخ والطحَّان والعطَّار والدلَّال واللبابيدي واللبَّاد (نسبة الى عمل اللبد) واللحَّام (الجزَّار) والزيَّات والحريري وبولاد والسكاكيني والسابكي والعقَّاد والصيقلي والصابني والصابونجي والهواويني والبيطار والبحري والبنَّاء والجاماتي الى غير ذلك مما لا يحصى وهو معروف في سوريَّة ولبنان

فاذا عددنا اليوم هذه الصنائع التي كان الاقدمون ينتسبون اليها نجدها قد انحصرت في اسرة معلومة او في رجال قليلين منها وذلك هو ضربة قاضية بمحو اثرها · على اننا بعد البحث نجد ان كثرة المزاحمة في الاعمال مما هو في طبع الشرقي عموماً والسوري خصوصاً وبذلك يزيد الاقبال على المصنوعات الوطنيَّة

٢

اشتهرت سوريَّة ولبنان بصنائعها القديمة ولاسيَّما في عهد الفينيقيين الذين اتقنوا اشغال الخشب وعمل الادوات والآنية المعدنية من ذهب وفضَّة ونحاس الخ وبرعوا بشغل العاج وتقسية الشبهان (النحاس الاصفر) لاتخاذه عوض الفولاذ الذي كانوا يجهلون صناعتهُ · وقد طار ذكر صيداء بزجاجها الفاخر وصور بارجوانها النفيس الى غير ذلك مما يروي التاريخ آثارهُ

واذا ارسلنا لمحةً الى العصور المتأخرة رأينا اهمّ اعمال اللبنانيين ومجاوريهم النسج والنجارة والحدادة واستخراج الحديد والفحم الحجري

وفي القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر للميلاد كانوا يجلبون القطن من جبل نابلس وينسجونهُ نسجاً صفيقاً يسمّونهُ خاماً وكانوا يصبغونهُ الواناً ويطرّزونهُ بالحرير الملوّن والتطريز من عمل نسائهم ومن هذا النسيج المتين اتخذوا البستهم نساءً ورجالاً · وكان منسوجهم هذا رائجاً في جهات حوران وجبل نابلس وعكار وغيرها من ضواحي لبنان حيثما كانوا ينقلونهُ

وعرفوا نسج العباآت والبُسط ونحوها من الصوف وحلّ الحرير على الطريقة السوريَّة وغير ذلك فكان معظم اشتغالهم بهذه الاصناف التي بقيت سوقها رائجة الى منتصف القرن التاسع عشر فاماتتها المصنوعات الاوربيَّة

وقد اشتهرت دير القمر والزوق وقاطع بكفيا وزحلة وغيرهـا بصناعة النسج وفي ذهابهم الى جهات كثيرة كحماة وحمص وحلب ودمشق اكتسبوا صناعة الديما التي نظنها مقتطفة من كلمة (Damasco) وهي اسم لنسيج مشجَّر تناولهُ الافرنج من مدينة دمشق فسمّوه باسمها. واهمُّ من عرف هذه الصناعة بعض سكّان بكفيا تناولوها من حلب في اوائل القرن التاسع عشر الماضي وشاع الاشتغال بها في بكفيا والمحيدثة وبيت شباب وبجرصاف وما يجاورها من قرى القاطع في قضاء المتن من لبنان. وامتدَّ منها الى جهات كثيرة في لبنان ولها شأن كبير لانها تشغل النساء والاولاد والشيوخ. ويصدر شهريًّا من بعض قرى القاطع بقيمة مائة الف غرش منسوجات مختلفة الالوان والاشكال فترسل الى سالونيك وغيرها في برّ الاناضول رواجها هنالك

ذلك فضلًا عمَّا في لبنان من الصنائع الاخر التي لا تزال رائجة الى عهدنا كصنع الجوارح في جزّين والحدادة والصياغة في زحلة والشوير ودوما (البترون) وعمل اسلحة الصيد في زحلة والشوير والبناء وغيره في كثير من القرى وجميعها متقنة مشهورة الى غير ذلك ممَّا لا يمكن استقراؤه الآن والافاضة فيه. ومن اشهر القرى بالصنائع لعهدنا قرية بيت شباب وهي التي اتخذناها موضوعًا لمقالتنا

٣

من اشهر صنائعنا الحاضرة مصنوعات قرية بيت شباب الواقعة في قضاء المتن على مقربة من بكفيا والمبنيَّة في منخفض من الارض يراها المشرف عليها كالرمانة المفلوقة لان اكثر ابنيتها من القرميد وقد وصفتموها في مجلتكم الغرَّاء (٤: ٨١٧). امَّا اسم القرية فسرياني (ܒܝܬ ܫܒܒܐ) معناه بيت الجيران وقيل انهُ عربي سمّيت بهِ لان شبَّانًا من بكفيا كانوا يقصدون ينبوعًا فيها ترويحًا للنفس واسترسالًا مع اللهو والطرب فأطلق عليها اسم بيت شباب. وعلى هذا كان الاولى ان يعرَّف المضاف اليه فيقال بيت الشباب. وهي اليوم من اكبر قرى مديريَّة القاطع سكانها نحو خمسة آلاف

معظمهم من الموارنة وفيهم قليل من الروم الكاثوليك وجميعهم يرتزقون من صنائعهم اليدويَّة لان املاكها ضيّقة لا تقوم بحاجة السكان

ومن صنائعها التي لا تزال رائجة وتكاد تتفرَّد بها الفخَّار وقد عُرفت منذ اكثر من مائة سنة ومعظمهُ يُنفَق في لبنان وكثير من قرى برّ الشام وتشهد التجربة بانهُ من اصلح الانواع لبقاء طعم الظروف بهِ بدون تغيُّر ومنهُ تتّخذ اوعية للسوائل والجوامد على اختلافها . وهذه الصناعة محصورة ببني الفاخوري فيها وهم نحو عشرين رجلًا اشهرهم اليوم المعلّمان ساسين رزق الله وتوما متّى الفاخوري .

ذلك فضلًا عن صناعة النجارة المتقنة ومن اشهر اساتذتها المعلم يوسف شاوش وقد اخترعوا مناويل (انوالًا) تدير كثيرًا من المحاويك (جمع محواك وهو المكّوك) بحركة واحدة . وصناعة الآجرّ (القرميد) التي ابتنى لها معملًا المرحوم ابرهيم الحاج الكرزل وراجت سوقها رواجًا مذكورًا فابطل بموتهِ الى غير ذلك مما هو مشهور

اما اشهر الصنائع التي تفرَّدت فيها هذه القصبة فهي سبك الاجراس الكبيرة وهو الموضوع الذي احببنا ان نفسح لهُ مجالًا للافاضة فيهِ الآن

٤

وقد رأينا ان نبحث قليلًا في تاريخ الاجراس تمهيدًا للموضوع فنقول :

ان الاجراس كانت معروفة عند الاقدمين صغيرة الحجم . فقرعها المصريون في الاحتفالات بعيد اوزيريس اله الزراعة . والعبرانيون اتّخذوها لثياب احبارهم واول من لبسها هرون كما جاء في سفر الخروج (٢٨ : ٣٣ و٣٤ و٣٥) « وتصنع لاذيالها (اي جبَّة الافود) رمَّانات من سمنجوني وارجوان وصبغ قرمز لاذيالها من حولها وجلاجل (١ من ذهب فيما بينها من حولها جلجل ذهب ورمَّانة لاذيال الجبَّة من حولها فتكون على هرون عند الخدمة ليُسمع صوتها عند دخوله القدس امام الرب وعند خروجه لئلا يموت »

واتخذها اليونان تنبيهًا في حروبهم وربَّما كانت بشكل الصنوج ونحوها . وكذلك الرومان لاغراض كثيرة مثل التنبيه للاستحمام ونحو ذلك . وقد روى بلوتارك ان الباعة كانوا يقرعونها في مرورهم امام البيوت كما هو جارٍ لعهدنا . وعُلّقت صغارها في اعناق

١) جاء في تاج العروس : الجلجُل بالضم الجرس الصغير ومنهُ ابل مجلجلة عُلّق فيها الجلاجل (١٠) . والجلاجل هي التي تسميها العامة الاغرار واحدها غرّ

المواشي كما يفعل الرعاة عندنا وربما سُبكت الاجراس سبكًا عند ما اهتُدي الى حل المعادن وتذويبها نحو سنة ٢٠٠٤ ق م ويرجَّح ان اول من اتخذها للكنائس هو القديس بولينوس اسقف نولا من اعمال كمبانية في ايطالية في اول القرن الخامس للميلاد فسميت الاجراس لذلك كمبانا (campana) وعُرفت اجراس الكنائس في فرنسة وانكلترة في القرن السابع واتصلت بالمشرق في القرن التاسع

ومن اشهر الاجراس الى يومنا هذا ملك الاجراس في مدينة موسكو في روسية اعاد سبكه ميشال مونتارين سنة ١٧٣٣ م ووزنهُ اكثر من سبع مائة قنطار وعلوه نحو ١٩ قدمًا ومحيطهُ نحو ٦٤ قدمًا وأُنفق عليه نحو ثلاثمائة الف ريال وعليه صورة الامبراطورة حنة ايڤانوف ملكة روسية لانهُ سُبك على عهدها. وضع اولًا في حفرة عميقة في صحن كنيسة الكرملن فيها وقد ركزه على قاعدة من الحجَر (الكرانيت) الامبراطور نقولا سنة ١٨٣٧ م وفي هذه السنة سقط عليه اخشاب فكسرت جانبهُ فاصبح مصلًّى قطرهُ ٢٢ قدمًا وارتفاعهُ ٢١ يزوره الفلاحون في الاعياد فيدخلون من تلك الثلمة صاعدين على درج وراسمين علامة الصليب ولن يزال ذلك الى عهدنا

واذا زرت اليوم كنيسة الكرملن تنظر قبَّة جرس القديس يوحنا علوُّها عشرة امتار يُصعد اليها من لولب كالبرج علوه ٨٢٥ مترًا ودرجاتهُ ٢٤٨ وفي هذه القبة الشاهقة ٣١ جرسًا ليس وزن اصغرها باقلّ من (٥٢١ , ٦٥ كيلو)

واكبر جرس بعد جرس موسكو هو جرس كنيسة قلب يسوع في مدينة باريس وهو المدعو ساڤوايرد (Savoyarde). واشتهرت الصين واليابان بضخامة اجراسها

ولستعمالها شائع اليوم في الشرق والغرب وتتخذ لمقاصد كثيرة: فهي لنظار المدارس بوق يحرّك الطلبة ويوقفهم برنَّاته. ولاصحاب الاشغال تليفون يستقدم الكتاب والخدام. وللباعة بمثابة مناداة تروّج سلعهم. وللمكارين والرعاة موسيقى تستخف انفسهم طربًا فتخفف من مشقات اسفارهم وتؤنسهم بوحدتهم. وللمنبهات والساعات الكبيرة بمنزلة الحاكي (الفونغراف) يغني الاذن عن العين التي تتشوَّق الى معرفة الاوقات. ولقد اجاد العلّامة الشيخ ابراهيم اليازجي بوصفهِ ساعة دقاقة :

ومحصية اعمارَنا كلَّما انقضتْ لنا ساعة دقَّت لها جرس الحزنِ
فيا بنت هذا الدهر سرتِ مسيرهُ فهل انتِ دون الناس منهُ على أمنِ

وهي للجوارح القانصة منذرٌ بظفرها مصداقاً لقول الشاعر الشهير المرحوم بطارس كرامة الحمصي في وصف يوم صيد :

ألا يا حبَّذا يومٌ بوادي حواريثِ من الايام ثاني
ترى فيهِ الاسابر بازدحامٍ تكرُّ على الحجال بلا توانِ
فمن اجناحها اسيافُ فتكٍ ومن اجراسها نغم المثاني

وقد علمنا من مطالعاتنا ان اول ما استُعمل الناقوس ايذاناً بالصلاة في الكنائس .
جاء في تاج العروس : « الناقوس الذي يضربهُ النصارى لاوقات صلاتهم وهي خشبة كبيرة طويلة واخرى قصيرة واسمها الوبيل » . وقد نقس بالوبيل الناقوس نقساً اي ضرب . وانتقسوا قرعوا الناقوس . والجمع نُقُس على توهُّم حذف الالف وبهِ فُسّر قول الاسود بن يعفُر :

وقد سبأتُ لفتيانٍ ذوي كرمٍ قبل الصباح ولمَّا تُقرَع النُقُسُ

ونقس الناقوس صوَّت » . وقال في محل آخر : « الوبيل خشبة يضرب بها الناقوس وبيلهُ بالعصا والسوط ضربهُ وقيل تابع عليهِ الضرب (عن ابي زيد) . وقال عدي بن زيد :

انَّني واللهِ فاقبل حلفتي بأبيلٍ كلَّما صلَّى جأرْ

والأَبيل الراهب او صاحب الناقوس » وهو الأَيبُليّ ايضاً . قال اعشى قيس :

وما أيبليٌّ على هيكلٍ بناه وصلَّب فيهِ وصارا

قلتُ وقد وردت لفظة الناقوس في اشعار الجاهليين كثيراً مثل قول تميم بن ابي مقبل العامري :

صوتُ النواقيس فيهِ ما يفرّطهُ أيدي الجلاذيّ جون ما يغبنا
كأن اصواتها من حيث تسمعها صوتُ المحارث يخلجن المجارينا

وكقول المرقش الاكبر :

وتسمع تزقاء من البوم حولنا كما ضُربت بعد الهدوّ النواقسُ

وكذلك في شعر المولَّدين كقول جرير :

لما تذكَّرت بالديرين أرَّقني صوت الدجاج وضرب بالنواقيسِ

والذي يقرع الناقوس او ينقسهُ يسمَّى الأَبيل من الأَبل وهو الضرب بالعصا قال بعضهم :

وما صكّ ناقوس الصلاة أبيلها (١

وروى العلامة الدويهي انهم في سنة ١١١٢م قرعوا نواقيس النحاس عوض الخشب في لبنان (٢ وجاء في مجلّة المشرق الغرّاء (٣ انهُ في اواسط القرن الخامس عشر للميلاد كان المسيحيون يدعون الناس الى الصلاة بقرع عصا او مطارقة على خشبة عوض الاجراس. ولعلَّ النواقيس الخشبيَّة كانت باقية الى ذلك العهد لانني اتذكر ان النواقيس الحديديَّة بقيت في كثير من قرى لبنان الى ما بعد النصف الثاني من القرن التاسع عشر الماضي

اما صناعة سبك الاجراس عندنا بل في جميع الاقطار السوريَّة فلم تُعرف حتى اواخر النصف الثاني من القرن الثامن عشر للميلاد ومما يؤيد ذلك ان القس سركيس عطا الله استأذن رؤساءه وسافر الى مدينة ڤينا عاصمة النمسة سنة ١٧٦٧ م ليجمع احسانًا ويجلب جرسًا لكنيسة دير الحقلة لانهُ كان يقرع يومًا جرسها فانكسر واغضب عجَّانهُ الرئيس وقد ذهب وجاء بجرس رخيم الصوت كحرتهِ الصاعقة سنة ١٨٨٩ فصنع عوضهُ في بيت شباب (٤ ولا نعلم يقينًا في اي وقت اتُّخذت الاجراس في لبنان للكنائس

وعرف العرب الاجراس الصغيرة. جاء في التاج: الجَرَس بالتحريك الذي يُعلّق في عنق البعير. قال ابن دريد: اشتقاقهُ من الجَرْس اي الصوت وخصَّهُ بعضهم بالجلجل. وجاء في شفاء الغليل للخفاجي: جرَّسهُ اذا شهَّره واصلهُ ان من يُشهر يُجعل في عنقهِ جرس ويركب على دابَّة مقلوبًا اي وجههُ من جهة ذنبها. واجاد القيراطي في قوله في شاعر اذا ظفر بمعنى يقلبهُ تركيبًا ويركبهُ مقلوبًا ويأتي بجملة غير مفيدة:

وشاعرٍ بالمعاني لا شعور لهُ   مركَّب الجهل يُبدي سوءَ تركيبِ
موكَّلٍ بمعانيهِ يجرّسها   فما يركّب معنى غير مقلوب (١٥)

١) راجع مقالة التشابيه النصرانية في شعراء الجاهلية في المشرق (٧: ٦٣٧)
٢) راجع الصفحة (١٠٣) من تاريخ الدويهي المطبوع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٨٩٠ م
٣) راجع مقالة الاخ غريفون وجبل لبنان في القرن الخامس عشر في المشرق (١: ٥٨)
٤) راجع تاريخ المقاطعة الكسروانية (ص ١٨٤)

والجرس جسم اجوف من النحاس وغيره يعلّق في داخله وبيل (مطرقة) حديدي بحلقة محكمة الوضع في اعلاه وتتخذ له عندنا قبّة خشبية مثلَّثة قاعدتها الى الاعلى متصلة بجاتز فيعلّق بها بلوالب (براغي) حديدية وفي طرفي الجاتز محوران حديديان يتحرك عليهما في البناء القبّب غالبًا المتخذ له وتحت المحورين قطبان من حديد وفي احد جانبي الجاتز زند من حديد او خشب يُربط فيها حبل للقرع. ويختلف قرع الاجراس فتُدَقّ بحركة ميكانيكيّة او بجذب حبل ونحو ذلك

وهو يصنع من معادن مختلفة فيتخذ من الفضة والنحاس او النحاس وغيره من المعادن. ومن الحديد والفولاذ وافضلها ما صُنع من النحاس والقصدير بنسبة معلومة لا يزيد فيها القصدير عن ٢٠ في المائة وربّما أُضيف اليه شيء آخر لتحسين صوته

ولقد سُبكت الاجراس الصغيرة من زمن قديم عندنا ولن يزال الى اليوم بنو الجُرَيساتي في زحلة ينتسبون الى الاجراس الصغيرة التي سبكها جدُّهم وهم مشهورون لعهدنا بصناعة الحدادة ولهم فيها اعمال متقنة

امّا الاجراس الكبيرة فننسب سبكها الى بني نقّاع في بيت شباب. وسنختم هذه المقالة بتاريخ هذه الصناعة عندهم

ان بني نقاع المشهورين بسبك الاجراس في بيت شباب هم فرع من اسرة غبريل التي قدمت قاطع بكفيا من قرية جاج في منتصف القرن السادس عشر للميلاد سنة ١٥٤٥ م (١ ولا يزال الاصل والفرع فيها الى اليوم

واول من اهتدى الى صناعة الاجراس هو يوسف نقاع المشهور بشغل المعادن. ففي سنة ١٧٨٠ م قدم رجل من اوربّة ليسبك جرسًا لكنيسة مار عبدا في بكفيا فذهب يوسف اليه وحاول ان يتعلّم منهُ تلك الصناعة فلم ينجح ولكنَّ مشاهدتهُ بعض معدّات العمل ساعدتهُ على ان يزاول الصناعة مرارًا بدون ضجر فاهتدى بعد عناء طويل وامتحانات كثيرة الى سبك جرس يزن ثلاثين اقة فسبك كثيرًا من هذا الوزن لكنائس مختلفة واشتهر بهذه الصناعة

---

١) راجع المقاطعة الكسروانية ص ٥٧

وبعد ذلك بمدة أُرسل جرس من روسية الى دير القديس الياس في شويّا يزن مائة اقة وكان يوسف قد شاخ واتقن اولاده صناعتهُ هذه وتفنَّنوا فيها فسُئلوا ان يسبكوا جرسًا لاحد الاديار بذلك الوزن فعزم احدهم شبلي على تلبية ذلك الطلب فسار الى الدير ورسم شكل الجرس وتفحّص دقائق صناعتهِ وعاد الى بيتهِ فسبك جرسًا على وزنهِ ذا هندسة جديدة فكان هذا الجرس رخيم الصوت مماثلًا بجميع صفاتهِ ذلك الجرس الروسي. ومنذ ذلك الحين تيسَّر لهم اتقان هذه الصناعة والتفنن فيها واتُخذت اجراسهم في جميع الكنائس واستُغني عن استقدامها من اوربَّة وغيرها

وانحصرت هذه الصناعة في هذه الاسرة البالغ عدد ذكورها الثلاثين واكبر جرس سبكهُ الماهران فارس وسليمان نقَّاع لكنيسة السيدة للروم الارثوذكس في الشوير (لبنان) وزنهُ قنطار ونصف يقرعهُ اربعة رجال

وهم يشتغلون ادواتٍ للمعامل الحريريَّة ويصلحون الاسلحة ويصطنعون المضخّات (الطلمبات) والموازين ذوات الكفَّات وذوات الاثقال (القبابين) وحربات الصواعق والدوى (جمع دواة) النحاسية. وهذه وضعها يوسف بن شبلي نقاع ويزعم انسباؤه انهُ اخترعها (١

وقد برعوا بصناعة سبك الحديد حتى ان المعلم داود الياس نقاع اصطنع ادوات لمعامل الحريريَّة منهُ. واول ما صنع منها كان لمعمل الخواجات زلزل في بكفيا من ٢٠ دولابًا. ومن آثار حذقهم ان شبلي بن يوسف نقاع وولده يوسف اصطنعا فوَّارةً (نوفرةً)

---

١) ان الدوى النحاسية المشهورة بشكلها الخاص هي قديمة على ما يظهر من قول بعض الشعراء ملتزًا فيها:

ومرضعةٍ اولادَها بعد ذبحهم لها لبنٌ ما لذَّ يومًا لشاربِ
وفي بطنها السكين والثدي رأسُها واولادها مذخورة للنوائبِ

وقول الآخر فيها:

قد بعثنا اليك امَّ العطايا والمنايا زنجيَّةَ الاحسابِ
في حشاها من غير حربٍ حرابٌ وهي امضى من نافذات الحرابِ

وكان الكتَّاب في الازمنة القديمة حتى منتصف القرن الماضي يتفاخرون بوضعها تحت منطقتهم ليتميزوا عن غيرهم ممن يجهل صناعة الكتابة. واذا كان احدهم طبيبًا ايضًا وضع بحذاء الدواة ملعقةً رمزًا الى صناعتهِ

في قصر بيت الدين للمير بشير الشهابي على شكل نسر قابض على حجل والماء يخرج من منقاره وكلاهما من النحاس . وكذلك عملا لهُ صورة عبد من نحاس وبيده كاس للماء الى غير ذلك ممَّا وصفهُ شاعراهُ المشهوران اذ ذاك بطرس كرامة ونقولا الترك . ولقد قال الاول يصف البركة والفوَّار :

لله فوَّارُ ماء كالُّلجَين بدا في حوضه لاعباً يجدي لنا دُرَرا
كأنَّهُ عابدٌ قد شاب من كِبَرٍ واهتزَّ يقرأ آيات الصفا سَحَرا

وقال فيهما ايضاً :

تزَّه لحاظك في محاسن بركةٍ تسقي التهانيَ من كؤوس الكوثرِ
غصنٌ من البلّور ازهر عسجداً يُزري اللآلئ من خيوط الجوهرِ

وقال الثاني من ابيات فيهما :

رقصت غصون السَّرو حول بحيرةٍ طافت بكاس من رخام في الوَسَطْ
يجلى على عمدٍ كزند مهفهفٍ في كفهِ راح يزيل بها القنطْ
ويجوفه كاسٌ يشاكل زهرةً ترهو برونقها على ذاك النمطْ
منها يشبُّ قوامُ فوَّار الصفا مترفّماً بعلاهُ فوق المشترطْ
يسمو ويُحدَر منهُ رائق كوثرٍ وهنالك الالماس بالدر اختلطْ

ومن اشهرهم لعهدنا الماهرون فارس وداود ونجيب تقَّاع وغيرهم . واما تراب قوالب الاجراس فهو من بيت شباب وسرّ الصناعة قائم بعمل هذه القوالب ولاسيَّما التعاليق التي في اعلاها

وحبذا لو راجت مصنوعاتنا واتسع نطاقها واتقانها لئلا تبقى محصورة في أُسر معلومة ولا تتناولها الايدي الكثيرة لتزيد في تحسينها وترقيتها لاننا في حاجة شديدة اليها والله الموفق بمنهِ وكرمه

كتابة جديدة في بعلبك

نظر للاب لويس جلابرت اليسوعي مدرّس الكتابات القديمة في المكتب الشرقي

وردت علينا من جناب الوطنيّ الاثريّ ميخائيل افندي موسى الوف الرسالة الآتية في تاريخ ٢١ اذار المنصرم:

سيدي

اعرض بانهُ بينا كان بعض الفعلة ينقبون عمار البارح في سور البلد هنا عثروا على كتابة لاتينيَّة ولما بلغني خبرها توجهت ونقلتها حرفيًا فاذا هي كتابة تأبينيَّة وهذا نصها وهذه الكتابة على حجر محدَّب واظنهُ مقطوعاً من عمود. احرف الكتابة عميقة وجليَّة وهي جميلة النقش طول الحرف ٥ سنتيمترات واما طول الكتابة فاربعون سنتيمترًا وعرضها ٤٥ س فعليهِ ان كان في نشر هذه الكتابة من فائدة لقرَّاء مشرقكم الاغرّ تكرَّموا باثباتها فيهِ

Λ·TVL [illegible] OMA
XIMO OVIVI
XIT · ANNIS
IXXX·TVLLSA
CERΓ [illegible] ET
IAI [illegible] PIVS

انا نشكر لحضرة الكاتب همتهُ في نشر آثار بعلبك التي اتحفنا حديثًا بتاريخها (المشرق ٨: ٤٣) وقد نال بتعريف هذه الكتابة فضلًا جديدًا ودونك بعض ملحوظات لبيان معناها وشرح مضمونها

يلوح لاوَّل وهلة انَّ الكتابة المذكورة ضريحيَّة. امَّا الحجر المحدَّب الذي وُجدت عليهِ فهو نصبٌ (cippe) على ما ترجَّح ومن المحتمل ان يكون قطعة من عمود نُحت ثانية واتُخذ كأثر مدفني

ويستدلُّ من اقيسة الكتابة انَّ هذا الضريح لم يُنصب لرجلٍ من الذوات. وعلى رأينا انهُ كان في اعلى الكتابة عبارة حداديَّة سقطت لمَّا نُحت الحجر ليوضع في السور حيث وُجد مؤخرًا. وكذلك من المحتمل ان تكون سقطت عبارة اخرى كانت تجمل في رأس الكتابات الضريحيَّة D M اي لآلهة الموتى D (iis) M (anibus)

والنسخة التي ارسلها جناب الكاتب متقنة تدلُّ على انَّ الاصل جيد الصورة محكم الصُنع لم يسقط منهُ الّا احرف في السطر الاوَّل وحرفان في السطر الخامس وثلاثة حروف في السادس. امَّا قراءة هذا النص وتتميم الفاظهِ المختصرة او الدارسة فامران سهلان. واليك الكتابة بتمامها ونحن ندلُّ بقوسين على تتمَّة الالفاظ المختصرة وبمعكَّفين على ما دثر منها:

A(ulo) Tul[i]o [1] Maximo, [q]ui vixit annis [L]XXX [2] Tu[l]i(i) Sacerd[os] et Ja[nuar]ius [3]

وتعريب الكتابة كما يلي :

«نصب هذا الاثر) لاولوس توليوس مكسيموس الذي عاش ثمانين سنة (ولداه) ساكردوس وبانواريوس (ابنا) توليوس»

فيكون الضريح مقاماً من ولدين من اسرة تدعى توليوس (و Tullii جمع Tullius) اسمهما ساكردوس (ومعناه كاهن) وبانواريوس لابيهما اولوس توليوس الملقب بمكسيموس الذي توفي في الثمانين من عمره.

واهمّ ما في هذه الكتابة اسم أُسرة توليوس وهو شبيه باسم اسرة الخطيب الروماني الشهير شيشرون. واسم توليوس ورد في كتابات قليلة ولم يُرَ حتى الآن في الكتابات اللاتينيّة المكتشفة في سوريّة. وسأعود ان شاء الله الى ذكر هذه الكتابة عند ما تسمح لي الفرصة لمعاينتها. واكتفي اليوم بتكرار عبارات الشكر لجناب ميخائيل افندي الوف على استلفات انظارنا الى هذا الاثر

بحث في لغات الحبشة

بقلم جناب عبدالله افندي مخائيل رعد الصيدلي القانوني في بلاد الحبشة

٣ اللغة الامحرية (تتمة لما سبق)

﴿ اصلها ﴾ قلنا ان الامحرية قد تغلّبت على الكيز مصدرها في القرن الثالث عشر فامتدّت امتداداً عظيماً لان الملك والحكومة اتخذاها كلغة رسمية ولذلك يدعوها

١) لا يمكنّا ان نحكم حكماً باتاً في هذا العلم أهو في الاصل بلامين Tullio (سطر ١) و Tullii (سطر ٤) او بلام واحدة وعلى كلّ حال فان هذا العلم قد ورد في الكتابات القديمة على الصورتين

٢) في النسخة المرسلة لنا IXXX لكنّنا نظنّ ان الحرف الاوّل هو L وانما وقع منهُ ذَنَبهُ الاسفل امّا بالكسر وامّا بموازاة الملاط والكلس لهُ. ولذلك اصلحنا ايضاً بعض حروف كحرف Q بدلاً من O وحرف P بدلاً من R

٣) هذا الاسم انسب ما يُعاد الى اصل الكلمة لِلُحم اوّلها مع آخرها

بعضهم «لِسانا نكوس» اي لغة النجاشي او اللغـة الملكية وقد اصبحت اليوم عامّة فانها تمتد من مستعمرة الاريتره حتى داخل بلاد البورانا اي من الدرجة ١٤° من العرض الشمالي الى الدرجة ٢° من العرض الجنوبي ومن النيل الابيض الى البحر الهندي

دُعيت هذه اللغة امحرية او أمارنيًّا نسبة الى كلمة احرة التي يلقّب بها النصارى الاحباش انفسَهم. وهي من جملة اللغات السامية لكنها تختص كما اشرنا سابقًا بالفرع المدعو السابيّ ويقال لهُ ايضًا الكوشي او اليقطاني (Joktanide) ويمتاز هذا الفرع عن سواه من اللغات السامية بخصائص جمة اخصها استعمال الافعال المساعدة (verbes auxiliaires) في تصريف افعالها كما يُرى ذلك في تصريف الافعال الامحرية. وقد ذكرنا آنفًا ان هذه اللغة تشتق من لغة الكيز وتكتب بنفس احرف هذه الاخيرة وان مصدر هذه وتلك انما هي الحِميريَّة

فلننظر الى المسألة نظرًا ولو سطحيًا لتتَّضح لنا الحقيقة

يرينا التاريخ ان الحبشة تقلّبت في الاعصر السالفـة تقلُّبات عديدة من جهـة السكان ولغاتهم. ففي البدء لم يكن اثرٌ للانسان في جبال الحبشة واعاليها لانها كانت محطة قبل التقلبات البركانية وانما اوديتها والجهات المنخفضة منها كان يسكن بها عبيد سودانيون لم تزل آثارهم في القبيلة المدعوة قبيلة الوايتو (Waytou) الساكنة اليـوم جهات الكاثا ودمبايًا وهؤلاء من ذريَّة العبيد الذين حاربهم الفراعنة وجاء ذكرهم بذلك في التاريخ تحت اسم ڤاوكسَيتو (Waoxaytou) ثم جاء بعد هؤلاء العبيد قبائل مختلفة سبقت بني سام (Pré—sémites) او بربر وهم الكوش والاگاوس والحِمير والبوغوس والشاهو وهؤلاء سكنوا رويدًا رويدًا جبال الحبشة بعد التقلبات البركانية التي اصلحتها ولم تزل ذريتهم باقية الى اليوم في قبائل السيدامو والولامو الذين اتينا على ذكرهم في المشرق (٧: ٢٥٣ و٢٥٤). واخيرًا سكن الحبشة الساميون الهكسوس (Sémites—Hyksos) وهم مصريون وفينيقيون ويهود اتوا هذه الاقطار كتجار ورسل اديان ورسل سياسيين وهاربين وغير ذلك فطابت لبعضهم الارض فسكنوها ثم لحق بهم الحِميريون وهم العدد الاكثر الذين ملأوا البلاد فاصبحت الحبشة مختلطة من اجناس كثيرة كلهم من اصل سامي. فينتج لنا اذًا ان اللغـة الامحرية انما هي سامية الاصل لا محالة

❊ حروف هجائها ❊ في الامحرية ثلاثة وثلاثون حرفًا للهجاء بسيطة وكل حرف منها يُلفظ على سبعة انواع يفرق بينها نقط وحركات واذناب مختلفة. وزد على ذلك عشرين اجتماع لحرفين متلاصقين يعطيان سوية صوتًا ممتزجًا نظير الحروف المركبة (diphtongues) بالافرنسية. فيكون اذًا مجموع حروف هجاء اللغة الامحرية بانواعها مائتين وواحدًا وخمسين حرفًا فتأمل

❊ قواعدها ❊ سبعة اجيال مضت منذ ان اتّسع نطاق هذه اللغة ولم يضع حبشيٌ كتابًا في اصول لغته ولم يشاهد في مدارس الاحباش (ان صحّ ان ندعوها مدارس) الّا مخطوطات متبعثرة تعبث بها ايدي الضياع وتلقيها حيث شاءت من الاهواء. امّا الدروس فتُلقى كلُّها شفاهية والتلميذ يحفظها عن ظهر قلبه ولا كتاب بيده ولا ورقة فلذلك ندر في الحبشة من يعرف القراءة والذين يحسنون الكتابة يُعدّون على الاصابع

امّا هذه اللغة فهي بذاتها لغة جميلة قواعدها جلية نادرة الشذوذ واصولها لها اشتقاقات عديدة تمكن المتكلم من اظهار فكره كيفما شاء وهي قادرة ان تصوّر اسماء جديدة. وبناءً على هذه الاشتقاقات يجعل الاحباش كل يوم كلمات جديدة لكل ما يأتيهم من الآلات وما يشاهدون من الاشياء الواردة اليهم من اوربّة ومصر. اما هذه الاسماء الجديدة فانهم يصدرونها من نفس اللغة بدون ان يضطرّوا لتركيب الكلمات من لغات ثانية كما يفعل الاوروبيون عندما يركبون كلمات حديثة فانهم يستعيرون الجذور من اليونانية والالمانية والانكليزيّة وغير ذلك فيجعلونها كلمة جديدة في الايطالية مثلًا او في الافرنسية. واعلم انهُ يصعب جدًا على الاجنبي المتعلم هذه اللغة ان يوضح افكاره للحبشي بنوع جليّ لان الاحباش يستعملون كلهم على اختلاف مواطنهم ذات العبارات ونفس الكلمات لايضاح افكارهم فينبغي على من يتعلم هذه اللغة ممارسة طويلة ومخالطة قريبة بين الاحباش ليبرز عن خفايا قلبه بطريقة مفهومة منهم. فالامحرية من هذا القبيل تختلف جدًا عن اللغة العربية لان الاجنبي اذا تعلم قليلًا من العربية يستطيع ان يُفهَم ويُفهِم على قدر الحاجة في الحديث الاعتيادي من دون ان يتعلم الصرف والنحو وذلك صعب جدًا بالحبشيّة دون معرفة اصول اللغة. ولعل كثرة تداخل الاجانب في هذه الايّام يجعل الاحباش ان ينطوا لكلام الافرنج بالامحرية ولكن لا يكون ذلك الّا مع طول الزمان

امّا التآليف الموضوعة في قواعد واصول هذه اللغة فهي من اقلام بعض المرسلين والسيّاح المستشرقين الذين تعاطوا الرحلات العلميّة وتداخلوا مع الاحباش فألّفوا ما ألّفوا في تعريف لغتهم . وهذا بعض ما اطّلعتُ عليه :

اولًا: غراماطيق لودلف (Job Ludolf) الالماني (١ وهو اول غراماطيق في اللغة الحبشيّة (٢ طبعهُ المؤلف في فرانكفورت سنة ١٦٩٨ وهو كتاب جزيل الفائدة وُضع بحسب اشارات احد الكهنة الاحباش يدعى ابًا غريغوريوس يرينا اللغة الامحرية على حسب ما كان يتكلمها الاحباش في القرن السابع عشر ولكنهُ لا يمكن استعمالهُ اليوم لدرس هذه اللغة التي اصبحت في عهدنا غير ما كانت عليه في ذلك الوقت . فبقي الكتاب تاريخيًا

ثانيًا: غراماطيق ايزمبرغ (Isenberg) المطبوع في لندن سنة ١٨٤٢ (٣ وهو تأليف نفيس بسيط المنهج وقريب المأخذ . لكنّ العلماء المستشرقين يعيبونهُ بكونه يتّبع في الغالب كيفيّة لفظ وعوائد مقاطعتي الشوا والنگودجام دون غيرها . ولهُ ايضًا معجم امحري انكليزي وانكليزي امحري طبع سنة ١٨٤١ في لندن

ثالثًا: غراماطيق الكردينال ماسايا طبع في باريس باللغة اللاتينيّة سنة ١٨٧٦ (٤

(١ Grammatica linguæ amharicœ, quæ vernacula Habessinorum. *Francfort*, 1698

٢) ليس غراماطيق لودلف اوّل كتاب وضع في اصول اللغة الحبشيّة وانما سبقهُ الى ذلك احد المرسلين اليسوعيين وهو الاب لويس دي ازفيدو (L. de Azivédo) الذي دخل الحبشة سنة ١٦٠٤ وتوفي سنة ١٦٣٤ ولهُ تآليف عديدة باللغة الحبشيّة من جملتها اصول اللغة الامحريّة كتبهُ باللغة البرتغالية ثمّ نقّحهُ وزاد فيه . وقد اشتهر كثيرون من اليسوعيين في التآليف الحبشيّة منهم الاب عنويل دي الميدا المتوفى سنة ١٦٤٦ لهُ تاريخ موسّع لبلاد الحبشة . والاب بلتزار تلّاس (B. Tellez) كتب تاريخًا آخر هو احسن ما كُتب في ذلك وتوفي سنة ١٦٧٥ . ودخل الحبشة قبل لودلف الابوان جيروم لوبو (J. Lobo) وبطرس بايز (P. Paëz) في النصف الاول من القرن السابع عشر وطافا بلاد الحبش واكتشفا ينابيع النيل وكتبا في ذلك مقالات عجيبة ومات الاب بايز في جرجرّة سنة ١٦٢٢ امّا لوبو فرجع الى اوربّة ومات سنة ١٦٧٨ (المشرق)

(٣ Grammar of the amharic language. *London* 1842

(٤ Lectiones grammaticales pro missionariis qui addiscere volunt linguam amharicam, quæ vulgaris est Habessiniæ, nec non et Oromonicam. *Paris* 1876

جمع المؤلف في هذا الكتاب قواعد الامحرية ولغة الكالّا ودعمهُ بكثير من الحواشي والحكايات والتواريخ والاستعلامات عن الحبشة كما كانت في ذلك العهد

رابعاً: كتاب بريتوريوس (Prætorius) المدرس في كلية برسلو (١ وهو تأليف جميل للمطالعة وبشقتهُ الذين درسوا اللغة الامحرية لكثرة ما فيه من الفوائد لكنهُ لا يصلح مطلقاً استعمالهُ للتعليم. اما اغلاط النسخ فيه فكثيرة لانَّ المؤلف تركهُ بين ايدي النسَّاخ الاحباش (والله اعلم باهمال الاحباش عند ما يوكل اليهم عملٌ ما) ولم يلاحظهُ عند طبعهِ ولولا ذلك لكان كتابهُ هذا جاء بالفائدة المطلوبة وخصوصاً لو ان هذا العالم مكث مدَّة اطول في الحبشة وتضلَّع في اصطلاحات لغتها

خامساً كتاب السنيور غويدي (Ignazio Guidi) (٢ وهو مختصر الكتاب السابق وهذا الغراماطيق جيد لكنَّ بعض العارفين يقولون انهُ غير كافٍ لمن يريد درس هذه

وفيما سوى هذه التآليف الخمسة لم يوجد من كتب قواعد اللغة الامحرية سوى معجم انطون دي ابادي (Antoine d'Abbadie) (٣ وهو كتاب نفيس غير ان منهج اللفظ فيه جعلهُ عديم الفائدة لمن تعلَّم هذه اللغة واعتاد على كيفية اللفظ ومعا عليهِ فهو كتاب جزيل الاهميَّة لمن أخذ في تعليم الامحرية. ومفردات بلومهرت (Blumhart) ومخاطبات غزنيوس (Gesennius) بالامحرية والالمانية والافرنسية (٤

فكل هذه المؤلفات اما ناقصة مختلفة عن بعضها جوهريًّا او صعبة المأخذ كثيرة التلبُّك لا تفي ولا ببعض المقصود لان كلًّا من هؤلاء المؤلفين دعم قواعده على قواعد مقاطعة دون غيرها وقد اشرنا آنفاً ان عوائد المقاطعات تختلف كل الاختلاف بعضها عن بعض. اخيرًا طبع المسيو مندون (Mondon) مدرّس اللغة الامحرية حالًا في كلية اللغات

---

١) Die amharische Sprache

٢) Grammatica elementare della lingua amarinna

٣) Dictionnaire de la langue amarinna, Paris 1881

٤) وممن يستحقوا الذكر بتآليفهم في اللغة الحبشية الاستاذ ديلمان (A. Dilmann) لهُ غراماطيق ومعجم ومنتخبات في الحبشية والالمانية جديرة بالثناء (المشرق)

الحبشة في باريس كتابهُ (١ فجاء هذا التأليف الجديد يفي ببعض المقصود وتداولتهُ الايدي • ثم اردفهُ بعد ذلك بغراماطيق (٢ كان قد كتبهُ في السنتين الاخيرتين من مكثه في الحبشة وقد صدَّره بتقدمة اهدى فيها كتابهُ هذا لجلالة الامبراطور منليك الثاني الذي يدعوه صديقهُ الحميم ويفتخر بكونه قدَّمهُ لهُ قبل ان يفرغهُ بقالب الطبع فاعجبهُ جدًّا واصلح لهُ فيه بيدهِ بعض الاغلاط وحثَّهُ على طبعهِ ونشره والحقّ يقال ان غراماطيق المسيو موندون احسن جدًّا من الكتب السابقة الذكر وهو الذي يعوّل عليهِ اليوم كل من شاء درس اللغة الامحرية غير انهُ مع ذلك ليس الضالَّة المنشودة في سهولة المأخذ والمنهج

﴿ آدابها ﴾ لا غنى في آداب اللغة الامحرية لان قلَّ من كتب هذه اللغة • او بالاحرى ان آداب هذه اللغة لم تزل في حالة الطفوليَّة اذ ان النزر القليل من الاحباش هم الذين يفرقون بين الجمل اللطيفة الطلية وبين العبارات الخشنة اليابسة • وبالاجمال ان الاحباش عمومًا يكتبون بغاية الاختصار حتى يكادون لا يروق بعينهم سوى الانشاء التلغرافي وهم يهزأون عادةً بالجمل الطويلة والديباجات والتكلف وغير ذلك ممَّا يتعشقهُ الشرقيون سواهم • ومن ذلك ينتج صعوبة غير اعتيادية للذين يُكلَّفون بترجمة المقاولات والمعاهدات السياسية ونحو ذلك • امَّا مقرّ اللغة ومعدن جمالها (كما يقول الاحباش) فكان في البدء في مدينة قندهار لانها كانت العاصمة لكن هذه البلدة اصبحت اليوم صغيرة بعد انتقال كرسي الملك الى اديس ابابا وانتقال مقرّ اللغة معهُ ومعنى قندهار في الامحريَّة الزهرة الجديدة يعيش اهلها فقراء بالقرب من اخربة تلك القصور القديمة الجميلة والكنائس الكبيرة والاديرة النخيمة التي هدمها الدراويش في الحرب التي اثارها عليهم الامبراطور يوحنّس سلف النجاشي منليك وهلك فيها ولم يبقَ منها الَّا آثار الاخربة ينعي فوقها البوم

اما كتب هذه اللغة فما خلا كتب القواعد الآنفة الذكر وكتب الصلوات التي وضعها المرسلون الكاثوليك لا يُعرف منها سوى ترجمة الكتاب المقدَّس التي قام بها

---

١) Manuel pratique de la langue abyssine amharique, *Paris, Imprimerie Nationale*

٢) Grammaire élémentaire de la langue amharique

بالقاهرة في مبادئ القرن الماضي احد الاحباش المدعو « ابو رومي » تحت رعاية المسيو أَسلان دي شرڤيل (Mr Asselin de Cherville) قنصل فرنسة فيها وهذه الترجمة أُفرغت بقالب الطبع في انكلترة غير ان بينها وبين النسخة الخطيَّة الاصليَّة شواذ كثيرة . وقد اعتنت ايضاً جميَّة انكليزيَّة (London Missionary Society) بترجمة الكتاب المقدَّس والزبور وبتنقيح بعض الكتب الليترجيَّة ولكنها ترجمت ونقحت كما تشاء هي من الترجمة والتنقيح شأنها في ترجمة الكتب المقدَّسة لبقيَّة اللغات بادعاء تحسين اللغة وتسهيل المعنى وبئس الادعاء الواهن الدعائم . وفيما سوى الكتب الدينيَّة والطقسيَّة لا يُعرف من آداب اللغة الامحرية سوى بعض شذرات خطيَّة في التاريخ والترانيم والاغاني والحماسة وغير ذلك اكثرها استولى عليها المتحفان البريطاني والفرنسوي ولكن منها نسخ كثيرة في اديرة الرسالة الكاثوليكيَّة كلها مترجمة الى الافرنسيَّة لسهولة الاطلاع عليها والحكم في غرابتها وانحطاطها

وسائل يقول لي فما رأيك في هذه المخطوطات من جهة آداب اللغة ؟ اجبتهُ ببيت تجزؤ لحضرة شاعر مدينتنا دمشق (وهو ذو العزَّة صاحب سحر هاروت وبدائع ماروت وفي شهرتهِ غنى عن ذكر اسمهِ) انها كلها :

كلماتٌ دون طعمٍ هي للسمع اذيَّه

. غير ان لنا بهمَّة حضرة الآباء المرسلين الكاثوليكيين الكبوشيين واللعازريين ما يكفل لنا سدّ خللِ هذه اللغة واحياءها في عهد قريب لانَّ الصلات التجاريَّة والسياسيَّة بين الحبشة وبقيَّة الدول المتمدنة تزداد كل يوم ويتَّسع نطاقها وقد اصبح الاوربيون المقيمون في الحبشة بحاجة كلية لتعلّم هذه اللغة على اسلوب سهل المأخذ يكفل لهم سرعة حفظها مع عدم ضياع الوقت المكرَّس للاشتغال في الاشتغال بالابحاث الطويلة فضلًا عن ان مدارس الرسالة نفسها هي بحاجة كليَّة لمثل هذه الكتب . ومَن غيرهم يفينا بالمقصود ؟ وهم اكثر الناس هنا علماً ومعرفةً بعوائد الاحباش فقد قلَّبوهم البطن والظهر وتضلَّعوا بلغاتهم حتى تمكنوا من سهولة البشارة في جميع انحاء الحبشة على السواء وكل آتٍ قريب

اثار ثيبة والصعيد

المكتشفة في هذه الاعوام الاخيرة

نظر للاب الكيس .الون مدرّس اللغة القبطيّة في المكتب الشرقيّ (تتمّة)

وادي الملكات والملوك

انَّ الآثار التي وُجدت على ضفَّة النيل الشمالية في مدافن ثيبة السابق وصفها تُحسب من اعظم الاكتشافات خطرًا . وها نحن ذا نذكر اخصَّها

قد فتح الاثريّ الايطالي المسيو شاپرلي في ربيع السنة المنصرمة ثلاثة قبور من وادي الملكات فاذا هي بديعة النقوش تخلب العقل بجمالها . واحد هذه القبور دُفنت فيه الملكة « نفرة اري » ام امينوفيس الأوّل من السلالة السابعة عشرة . وكان اللصوص قد انتهكوا قديمًا هذا القبر وسلبوا كنوزهُ الَّا ان جدرانهُ منقوشة بتصاوير زاهية الالوان يظنُّها الناظر انها شُغل السنة . ومن الرسوم الغريبة التي تُرى هناك صورة الملكة وهي تلعب بالشطرنج . فترى من ثمَّ قدم هذه اللعبة المنسوبة عادةً الى اهل الهند

اما القبران الآخران فهما قبرا ولدي رعمسيس الثاني اللذين اخترمهما الموت في حداثة سنّهما . وتصاوير هذين القبرين تشبه بحسنها نقوش القبر المذكور انفًا ومن جملة صورهما صورة ذاك الفرعون الكبير وهو يقود بيده ابنهُ الميت والولد متشح بافخر الملابس وفي عنقهِ قلادة ثمينة تراه ماشيًا بجرأة ونافضًا على كتفيهِ ضفائر شعره الطويل وابوه يقدّمهُ الى الآلهة فردًا فردًا فيرحّبون بهِ ثم يدخلهُ في منازل الارواح الطوباويّة حتى ينتهي بهِ الى اقصى قبرهِ حيث يضطجع الولد على مضجعهِ الرخاميّ

وقد واصل المسيو شاپرلي الحفر في هذا الشتاء الاخير في المكان عينهِ ولم نعلم حتى الآن نتيجة اعماله

ومن العاديَّات المكتشفة حديثًا بقايا هيكل عظيم وقف على آثارهِ قريبًا من دير البحري بمية الى جنوبهِ المسيو نافيل من علماء العاديات المصريَّة وهو سويسري المولد يشتغل على حساب جمعية الحفريّات المصريَّة (Egypt Exploration Fund) وهذا

الهيكل يشبهُ تماماً في هندستهِ ونقوشهِ هيكلاً آخر شانع السمعة وهو هيكل الملكة « معكراع » ويؤخذ من كتابات الهيكل الجديد انهُ من ابنية فراعنة السلالة الحادية عشرة وهي اوَّل دول ثيبة فيكون من ثمَّ اقدم عهداً من هيكل معكراع الذي بُني في زمن السلالة الثامنة عشرة . وكان العلماء يتعجَّبون من هندستهِ المخالفة لهندسة بقية هياكل مصر حتى انَّ بعضهم زعموا انَّ فيهِ مسحةً من الهندسة الاسيوية . واليوم قد حُلَّ هذا المشكل باكتشاف الهيكل الجديد فتحقَّق العلماء انَّ الملكة معكراع مثَّلت ببنائها هيكلاً آخر أرقى عهداً بنحو الف سنة . وقد وُجدت في حفريَّات هذا الهيكل آثار أُخرى مهمَّة للغاية منها إصداف عليها كتابات مصريَّة بالقلمين العامي (démotique) والقبطي تأتي بفوائد عديدة لتعريف اهل ثيبة الساكنين في هذه الناحية

وكذلك تعدَّدت الاكتشافات هذه الاعوام الاخيرة في الوادي المعروف بوادي الملوك فكان لذكرها دويٌّ في عالم العلم . فمنها فتح مدفن الملكة معكراع المومأ اليها سابقاً . الَّا انَّ العلماء لم يجدوا هذا الاثر كما كانوا يؤمّلون فانَّ الماء كان نفذ اليهِ فافسد محاسنهُ

واخطر من ذلك اكتشاف مدفن تحوتمس الرابع من فراعنة الدولة الثامنة عشرة في ربيع السنة ١٩٠٣ والفضل في ذلك عائدٌ الى احد الاثريين الامركيين يُدعى تاودور داڤيس (T. Davis) وقد باشر هذه الحفريَّات على نفقتهِ الخاصَّة . ودونك تفاصيل الخبر كما رواه المسيو ماسپرو في نبذة ارسلها الى جريدة التان الفرنسويَّة في ١٠ نيسان سنة ١٩٠٣ قال :

« في صباح ٣ شباط من السنة ١٩٠٣ احتشد في « بيبان الملوك » كل من كان لهُ حق بان يحضر فتح المدفن . وكان تحوتمس الرابع اتخذ لمقامهِ قرنة قفرة من اوحش امكنة هذا الوادي . وهي عبارة عن قطعة من الصخر ناتئة تمتدّ على عطف الوادي لا يُصعد اليها الَّا من فوق تلّ من الردوم المكوَّمة . فاسرع الفعلة وفتحوا لنا ممرّاً الى داخل المدفن ومشى الكهربائيُّون بصحبتنا لينيروا سبيلنا فدخلنا في مسلك ضيق طويل كافٍ لتغيير الهواء ولاجتياز الزوَّار فقط . وكان السقف واطئاً ومنحدَر القبر صعباً زلجاً . وما سلكنا قليلاً حتى توارى ضوء النهار واوقد الكهربائيون مصابيحهم . فكنَّا نسير في

هذا المجاز المنحني المنقور في امّ الصخر وجدرانهُ مسودَّة بسناج المشاعل القديمة حتى اذا بلغنا ٣٠ مترًا عمقًا وجدنا المجاز يتصاعد قليلًا ثم ينقطع عند بئر مربَّعة الحافة عرضها اربعة امتار في عمق عشرة حفرها بُناة القبر لغايتين الاولى ليقطعوا الطريق على اللصوص اذا ما حاولوا يومًا انتهاك حرمة المدفن والثانية لتكون البئر حوضًا للمياه كلَّما نفذت في المعبر بعد اختراق الرمل الذي يسدُّ الباب فكانت تتجمع في هذه البئر دون ان تبلغ الى مقام الناووس. وانما البئر لم تدرك غير هذه الغاية الاخيرة اذ لم تسدّ الطريق في وجه اللصوص وكانوا مدُّوا عليها الواحًا وعبروا فوقها وهكذا فعلنا نحن على مثالهم فاجتزنا الى الحافة الاخرى. ورأينا السقف مصبوغًا باللون الازرق القاتم وعليه نجوم صفراء وعلى البلاط تصاوير غريبة لم يسمح لنا الوقت بفحصها. فلم نلبث ان وصلنا الى اول غرفة مدفنيَّة على زاوية قائمة من المعبر وهي واطئة منقورة فمررنا بها حتى وصلنا الى الزاوية التي في شمالها الشرقي وهناك درج غير محكم الصنع منقور في الصخر بلغ بنا بعد عشرين مترًا الى غرفة طولها اكبر من عرضها وهي كدهليز للمدفن الاخير تراها مزدانة بنقوش غاية في الجمال. وقد صُوّر الميت ساجدًا امام الالهة وهو يقدّم لهم التقادم والادعية

« ثم خطونا بعض الخطوات فوصلنا الى حجرة الناووس. وما عثرت ارجلنا بعتبتها حتى وجدناها مبعثرة خربة. وهي واطئة حرجة يقسمها صفَّان من ثلاث سوارٍ الى اسواق متناسبة الكبر. وكانت عادة المصريين ان ينضدوا كل امتعة الميت يوم دفنه ويجعلوها على مناضد او يكوّموها متَّسقةً على جوانب الجدران. وكل هذه الامتعة ثمينة زهيَّة بينها وبين خشونة الغرفة بون عظيم. وذلك انَّ تحوتمس الرابع كان مات قبل ان ينجز البُناة نحت مدفنهِ وزينتهُ فلما توفي كفَّ العملة عن الشغل وخرجوا من الغرفة دون ان يتمّوا اوساخها. فوجدنا الاقمشة الغالية القيمة والاسلحة والاثاث والاطعمة كلّها مخلوطةً بقطع الحجارة والتراب والادوات المكسَّرة. فانَّ اللصوص دخلوا هذه الغرفة ونهبوا كل ما وجدوه ذا ثمن كالذهب والفضَّة والجواهر والآنية الفاخرة وألقوا الباقي الذي لم يروه موافقًا وحطَّموه تحطيمًا

« ثمَّ تقرَّبنا الى الناووس فسُررنا اننا وجدناه سليمًا صحيحًا وهو من الحجر الكلسي الابيض مصبوغ بالاحمر القاني. وقد نُقش خارجهُ بتصاوير رمزيَّة. وكذلك

غطاؤه تام لم يكسر لكنهُ أُزيح باحتراز وقت السرقة وجُعل على جانب. وحول الناؤوس قطع من الخشب أُلقيت على الحضيض بينها تماثيل وصور آلهة وحيوانات. وهناك ايضاً في كل سعة المكان حُطام آنية من الزجاج الملوَّن والخزف المصبوغ وتمائم ودُمى صغيرة من الصيني المرصَّع وجُزَزة من الورق اليابس وقطع من الاقمشة وصحائف وقناني من الرخام الابيض وقلائد من اللؤلؤ المنظوم

« وبين كل هذه البقايا غير المنتظمة كانت العين تميّز شبحاً اسود غريب الشكل فاذا هي مركبة لم تُصب بأذى لحسن التوفيق وهي قد اتُّخذت من الخشب المتين والخفيف معاً عُطف عطفاً محكماً وزُين بغلافين من الجلد وعلى جهتي المركبة نقوش ناتئة ومن جانبها الامامي يُرى الملك حاملاً على شعوب الشمال والجنوب. وفي داخل المركبة كُتبت اسماء الشعوب المذكورة

« وهذه النقوش كلُّها منقورة نقراً وقد انجزها العملة بالمُدَى فاخرجوها دقيقةً بهيئة تامة الصنع كاحسن ما جاء من اعمال قدماء الصَّنَعة في مصر. ومن رأى هذه المركبة لاوَّل وهلة يظنُّها تامة الاقسام لا ينقصها شيءٌ من محرّة ودواليب وجهاز الخيل والكنانة والسهام. الّا انهُ لسوء الحظ لا يوجد شيءٌ من ذلك وانما بقي من مركبة تحوتمس الرابع صندوقها فقط. وكلُّ ما وجد في هذا المدفن سيُنقل الى متحف بولاق بكل حرص واعتناء. اماَّ جثَّة الفرعون فانها قد اكتُشفت في غير هذا المكان وهي في المتحف المصري منذ عهد سابق ». اه

وممَّا وقفوا عليه في هذه الحفريَّات الواح من خشب الارز كانت داخلة في عرش الملك تزيّنها تصاوير دينيَّة ذات رونق وبهاء تُشعر بما كان الفراعنة يوفّرونهُ من الزخارف في نقش قصورهم. ومن امثلة تطريز ذلك العهد قطعٌ من بُردة الفرعون امينوفيس الثاني مصنوعة كلها بعمل الابرة والزركش

لكن كل هذه الآثار هي دون المركبة الحربيَّة التي سبق ذكرها وان لم يوجد منها الّا صندوقها وذلك لانَّ هذه هي المركبة الوحيدة التي وُجدت الى اليوم في خبايا المدافن والهياكل المصريَّة. وليس ثمنها متوقفاً فقط على ندرتها بل على حُسن بقائها وجمال نقوشها المرسومة في كل وجوهها. وعلوّ هذه المركبة ٨٦ سنتمترًا في العلوّ ومتر و ٣ س. وكان الفرعون جلس فيها كما يُستدلُّ من أثر ظهره في المسند. والتصاوير مقسَّمة في

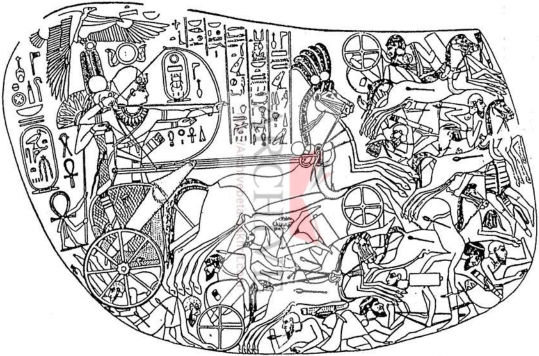
أربعة أُطر صورتان في الباطن وصورتان في الخارج . والصورتان الاوليان متشابهتان يرى فيهما الفرعون على هيئة اسد برأس بشري وعلى رأسه التاج مع الحيَّة الرمزيَّة (uræus) وهو يطأ برجله اعداءه. ومن ورائه اله الحرب «منطو» يُرى واقفاً ورأسهُ على شبه رأس الصقر وهو يمدُّ جناحيه على الفرعون ليحرسهُ وينفخ فيه الحياة والبأس والثبات. وكذلك الصورتان الخارجيَّتان قريبتا الشبه وقد مُثّل تحوتمس من جهة الشمال وهو يضرب اعداءه بمطرقة ومن جهة اليمين قد مُثّل وهو ماسك بيده قوسهُ فيرمي العدوّ بالنبال (انظر الصورة ص ٣٢٦)

وهو منتصب على مركبته ورأسهُ متوَّج بالخوذة الحربيَّة مع الحيَّة الرمزيَّة وعلى عنقه قلادة من الحجارة الكريمة وعلى جانبه جعبتهُ الملأى بالسهام . والهُ الحرب يسند ساعديه بينما تظلّلهُ امهُ الالهيَّة المسمَّاة «نخبيت» وهي على صورة الباشق . ويُقلّ مركبة الملك فرسان جوادان على رأسيهما ريشة طويلة وهما ينهبان الارض نهباً . امَّا المركبة المصوَّرة فهي بسيطة لها جرَّة طويلة ودولابان خفيفان وصندوق المركبة موضوع فوق المحور رأساً . وهذا الصندوق المصوَّر هو الذي وُجد في مدفن تحوتمس وفحوى الكتابة المدوَّنة هناك ما تعريبهُ :

« الاله الصالح المحبوب من منطو المستمدّ لكل التزواب القوي بخيله كعشتاروت . ضابط قلوب الجموع . . . ذو البأس والشهامة الاله الصالح «من خيبرو راع» الذي يهب الحياة كراع — نخبيت ملكة السماء — الاله الصالح صاحب اون سيد البرَّين تحوتمس »

وممَّا يُستغرب في هذه الكتابة ذكر الالهة السوريَّة عشتاروت بين آلهة مصر . وهي تُمثّل غالباً برأس لبؤة واقفة على مركبة تقودها . وكانت عند القدماء تُكرَّم كسيدة المركبات والخيل

وفي بقيَّة الصورة ترى الاعداء الذين غلبهم تحوتمس . وهيئتهم كلحاهم الطويلة ومغافرهم تدلُّ على انهم من شعوب الاسيويين . وقد مثَّل المصوّر كسرتهم على طريقة عجيبة فترى خيلهم مولّية والسهام في صدورهم ومركباتهم محطَّمة وفرسانهم تتناوبهم السهام ساقطين صرعى تحت اقدام الخيل ودواليب المركبات . وكل هذه التصاوير غاية في الدقَّة لا ينقصها شيءٌ من اسباب الحسن والضبط فترى كل تقاطيع الرأس والوجه واطراف العيون وضفائر الشعر واللحى وثنايا الالبسة واسارير الكف . فلم



الجهة اليمنى الخارجة من مركبة تحوتمس الرابع الحربية

نبالغ اذن بقولنا انَّ هذه المركبة آية في جنسها جامعة لكل محاسن صناعة النقش

وتوفَّق المسيو داڤيس الى غير هذا الاكتشاف فمن ذلك ما اصابهُ منذ بضعة اسابيع في السنة الجارية بفتح مدفن ملكي آخر وهو قبر ابوي الملكة تِيَّة زوجة امينوفيس الثالث من السلالة الثامنة عشرة . ومما يزيد هذا الاكتشاف خطرًا انَّ هذا القبر لم يُنتهك على عهد الرومانيين كسواه . فوجد القبر على ما كان بعد انجازه مع سائر الامتعة المودعة في جوفه . والمظنون انَّ بعض اللصوص سلبوا الجواهر والعقود الثمينة فقط وهذا قليل بالنسبة الى ما بقي في المدفن من الاثاث والامتعة فانَّ التوابيت سالمة لم تُسلب اوراقها الذهبية ولا آنيتها الرخامية والكراسي المنقوشة مع زاد الميت لآخرتهِ كالجرار المملوءة عسلًا والخبز والبصل واشياء اخرى كثيرة لم تنشر حتى الآن قائمتها . ومن جملة ذلك ورقة من البردي طولها ٤٠ س في عرض ١٠ س . ومنها ايضًا ١٦ حقَّة مملوءة من التماثيل الصغرى والآنية المختلفة والخنافس الرمزيَّة وكذلك قلادة من العاج وثلاث فُرش من الخشب المموَّه بالذهب واربعة كراسي مذهَّبة ومركبة . امَّا موقع هذا المدفن ففي وادي الملوك بين الدفنين الموسومين بعدد ٣ وعدد ٤ وطول هذا القبر ثلاثة امتار وعمقهُ ٢٩ مترًا في بطن الجبل . والامل ان توجد فيها آثار تاريخية

فترى كيف ينجلي كل يوم تاريخ الازمنة الغابرة وتبرز مصر الفراعنة من خباياها وتلوح كنوزها القديمة المحجوبة منذ الوف من السنين فتبهر العيون بآثارها العجيبة وتمدُّن اهلها وترقيهم في الفنون والصنائع فضلًا عن كونها تؤيد صحة الاسفار المقدسة وتفسر كثيرًا مما كان مغلقًا على ارباب الكتاب

الحركة التجاريَّة في مدينة صيداء

لحضرة الكاتب الاديب توما افندي كمال ارسلها الى جريدة البشير

ان مركز صيداء خوَّلها من قديم الزمان شهرة عامة وجعلها في مصاف المدن المشهورة لانَّ ميناءها موافق للمراكب لا يطرأ عليهِ خطر مهما اشتدَّت الانواء . وملَّاحوها موصوفون بحذاقتهم ولين طباعهم والقرى اللاحقة بها عديدة تبلغ المائة والعشرين مشتهرة بخصبها وحسن مراعيها . ومما يزيدها اهمية كونها محطَّة عمومية

للقادمين برًّا من جهات صور وبلاد بشارة وجديدة مرجعيون وجبال هونين والناصرة وعكا وحيفا الخ . . وقد لوحظ انهُ من مدَّة اربع سنوات زادت بها الحركة التجاريَّة تقدُّمًا اي من وقت تجاز طريق العربات بينها وبين بيروت ومنها الى اقليم التفاح فجزين. ومن الجدول الآتي بيانهُ ترى اهمية تجارتها من صادرات وواردات في العام الماضي ١٩٠٤ ومن مقابلتهِ مع السنين الغابرة ترى فرقًا كبيرًا هذا اذا ضربنا صفحًا عن صادرات البرتقال. وبعد هذا نقفك على اسباب تأخير ارساليات هذا الصنف للخارج

جنسية المراكب	البخارية	محمولها	الشراعية	محمولها
عثماني	١٩٣	٥,٧٥٦	٧٦٤	٨,٦٨٥
انكليزي	٣٦	١١,٦٤١	...	...
نمساوي	٣	٣,٣٨٤	...	...
يوناني	٧	٦,٠٣٠	١	٢٨٩
ايطالياني	٣	٣,٠٣٣	١	١٧٦
مسكوبي	٧	٩,٩٨٠	٠	...
	٢٤٦	٣٩,٨٢٤ طن	٧٦٦	٩,٢٥٠ طن

اما صادرات البرتقال والليمون الى البلاد الاجنبية فقلَّت شيئًا نظرًا للخسائر التي لحقت بالمزروعات من مدَّة اربع سنوات . الَّا ان الارساليات الى داخلية المملكة وما جاورها كبيروت ولبنان والشام ازدادت عن السنة السابقة لانهُ في مدَّة الموسم يرسل يوميًّا الى المحلَّات المجاورة ما لا يقل عن ١٢٠٠٠ حبة . ويتصدَّر من الحبوب قسم وافر من صيداء الَّا انهُ جزئي بنسبة محصولاتها وسببهُ انَّ الاهالي تصرف الوارد اليها والحصول من اراضيها في لبنان لانَّ اغلب اهاليهِ المجاورين صيداء يقصدونها ويتموَّنون منها

وتزداد الرغبة في اهالي صيداء ونواحيها لزرع اشجار التوت لوفرة دخلهِ الَّا ان بعض المربين لا يحسنون تربية القز فلذا في بعض الاماكن لا يجتنون منهُ الدخل الواجب والرمَّان يتصدَّر منهُ سنويًّا للقطر المصري وخلافهُ ما يقارب ٦٠٠ قنطار . اما الموز فقد قلَّ الَّا ان مدخولهُ تزايد نظرًا لغلائهِ فانَّ الرطل منهُ يباع في بعض الاحيان بعشرة غروش واكثر بعد ان كان يباع بـ٣٧ . ويرسل منهُ الى الخارج ما تبلغ قيمتهُ خمسة الاف ليرة

اما في باقي المواسم فانَّ صيداء ترسل الى بيروت والشام ولبنان من الفول والقرنبيط والباذنجان والبنادورة كميات كبيرة . وزد على ذلك ان قراها تورد الى بيروت يوميًّا ما لا يقل عن الف بيضة ومائتي طير من الدجاج وخلافها . اما الاسماك التي تصطاد في

صيداء فلا يباع منها في المدينة الّا ما قلّ عن الربع والباقي يرسل الى بيروت فيباع فيها باثمان غالية

هذا واذا اردنا ذكر كافة الاصناف التي تصدرها صيداء للخارج تضيق بهِ هذه العجالة . والامل ان هذه المدينة تزداد نموًّا في التجارة عند ما يتمّ فتح طريق العربات بينها وبين صور فعكّا فحيفا . راجين من اولياء الامور ملاحقة ملتزمي الطريق المذكورة ليصير انهاؤها عن قريب بالظل الشاهاني الظليل

اهم صادرات صيداء وملحقاتها

في عام ١٩٠٤

شرانق	٢٢٠,٠٠٠	كيلو	الى لبنان
[illegible]	٣,٠٠٠	كيس	الى اوربة
برتقال وحامض	٢١,٢٠٠	صندوق	اوربة ومصر
تين يابس	٥١,٢٨٣	كيلو	الى الاسكندرية
زيت وزيتون	٤٥,٠٠٠	〃	=
تبغ (دخان)	٥٠٠	〃	〃
زبيب	٦,٠٠٠	〃	〃

اهم واردات صيداء عام ١٩٠٤

بترول	٢٨,٠٠٠	صندوق	من باطوم
سكّر	١٠,٠٠٠	كيس	من الاسكندرية
ارز انكليزي	١٥,٠٠٠	كيس	بطريق الاسكندرية
ارز رشيدي	١٥,٠٠٠	قفة	من رشيد
قهوة	٣٠٠	كيس	بطريق الاسكندرية
ملح	١,٨٠٠,٠٠٠	كيلو	من بنغازي
طحين	٥٠	كيس	مرسين
〃	٣٠٠	〃	بيروت
حبوب	٤٠,٠٠٠	كيس	من عكّا وحيفا
حُصُر	٣٥٠	بالة	الاسكندرية
تنباك	٤٠,٠٠٠	فرنك	العجم
خشب	٤٠	فاكون	بر الترك
جلود	٣٠	رزمة	الاسكندرية
قنف فارغة	٥٠,٠٠٠	رزمة	〃
اكياس	٣٠٠	رزمة	بطريق الاسكندرية
دخان استانبولي يباع منهُ ما يساوي نحو ٥٠٠٠ ليرة			

مطبوعات شرقية جديدة

Fasti Mariani sive Calendarium festorum Sanctæ Mariæ Virginis Deiparæ memoriis historicis illustratum, auctore F. G. Holweck. *Friburgi Brisgoviæ, Herder* 1902, XVI-378

الاعياد المريمية

ان تعبُّد الكنيسة للبتول الطاهرة قد دفعها الى انشاء اعياد كثيرة تكرّم بها امّ الله في كل اسرار حياتها العجيبة منذ حُبل بها بريئةً من الخطيئة الاصليّة الى ان نُقلت الى السماء نفسًا وجسدًا لتحظى بالاكليل السرمدي والعرش السامي المعدّ لها جزاء

قداستها الفريدة. وما خلا هذه الاعياد العظيمة قد أُقيمت ايضاً في انحاء المعمور برخصة الاحبار الرومانيين واذن الرؤساء الروحيين اعياد اخرى لا تُحصى يُشعر فيها المسيحيُّون باعتصامهم بحبل العذراء وتغانيهم في خدمتها. فعُني احد الآباء الافاضل الحوري هُلثاك من كهنة ابرشيَّة القديس لويس في اميركة ان يجمع في كتاب خاص ذكر هذه الاعياد مرتَّبة على توالي شهور السنة وايامها مع بيان الامكنة التي تُقام بها وذكر لمة موجزة عن تاريخها ومعناها. وألحق ذلك بوصف الاعياد المريميَّة الواقعة في سياق الايام المتنقلة كايام الصوم وزمن الفصح وآحاد السنة فهو كما ترى كتاب مشحون بالفوائد ينطق بانتشار عبادة مريم بين الامم النصرانيَّة في اقطار الشرق والغرب معاً لا يستغني عنهُ من احبَّ الوقوف على تاريخ التعبُّد المريمي. وفي رسالة وجَّهها الينا المؤلف يتأسف على كونهِ لم يمكنهُ ان يذكر في كتابهِ كل الاعياد الشائعة في الطوائف الشرقيَّة لاكرام مريم ويؤمل ان يسدّ هذا الخلل في طبعة ثالثة وذلك اذا تكرَّم عليهِ اصحاب الهمَّة بجدول هذه الاعياد ومعناها وتاريخها ومكان احتفالها في الاديرة والابرشيَّات والمدن ليضيفها الى كتابهِ. ومما لم نجد ذكره في هذه الطبعة عيد تهنئة العذراء ثاني يوم عيد الميلاد. والكتاب موضوع باللاتينيَّة تولَّى نشره الطبَّاع الشهير هردر في فريبورغ من اعمال المانية

Prælections de Liturgiis orientalibus, habitæ in Univ. Friburgensi a MAXIMILIANO, PRINCIPE SAXONIÆ, *Bernœ, Benteli*, 1904 pp. 192, gr. in-8

دروس في الطقوس الشرقيَّة

نعم ما فعلت كليَّة فريبورج الكاثوليكيَّة في سويسرة اذ اقامت لستاذاً خاصاً لتدريس علمٍ قلَّما كتب فيهِ العلماء سابقاً وهو اليوم قد اضحى احد فروع العلوم الدينيَّة الخطيرة ألا وهو علم الطقوس الشرقيَّة. وقد ندبت الكليَّة المذكورة للقيام بهذا التعليم كاهناً فاضلاً من أسرة شريفة وهو الاب مكسمليان برنس سكسونية وحضرتهُ احق من يقوى على هذا العمل فانهُ لم يكتفِ بجمع مكتبة غنيَّة تحتوي كل ما كُتب في هذا الصدد بل طاف ايضاً جهات الشرق واجتمع باكليروس كل الطوائف وحضر رتبهم الدينيَّة وطالع كتبهم الطقسيَّة. ولمَّا مرَّ ببيروت في العام المنصرم زار مكتبتنا الشرقيَّة ونظر في مخطوطاتها فعاينَّا من فضلهِ وسعة معارفهِ ما زادنا لشخصهِ الكريم اعتباراً.

واليوم قد اتحفنا بثمرة ابحاثه المتعدّدة وهي الدروس التي القاها السنة المنصرمة في الطقوس الشرقيّة · ضمّنها في كتاب خاص كثير المواد جمّ الفوائد افتتحهُ بمقدّمة في الطقوس الشرقيّة وتاريخها واقسامها ولغاتها ونظامها الكنسيّ وتواقتها في الجوهريات والتآليف التي كُتبت عنها · وقد لحظنا في هذا الباب (ص ١٦ و١٧) بعض اغلاط في تاريخ طبع كتب الطقوس الشرقيّة في رومية وغيرها · وبعد هذه المقدّمات العموميّة يبحث عن الطقس اليوناني خصوصاً وذلك في قسمين مطوّلين : خصّ الاوّل بوصف الكنائس اليونانيّة وآنيتها وحللها الطقسيّة وكتبها ودرجات كهنتها · والثاني بكلنداريها السنوي واعيادها الثابتة والمتنقّلة معما تنزّدت به اقسام الكنيسة اليونانيّة على اختلاف لغاتها في روسيّة والصرب والفلاخ والرومايلي وسوريّة الخ · وفي نيّة المؤلف الفاضل ان يبحث في الاقسام التالية عن بقيّة الطقوس الشرقيّة · فترى من هذا النظر ما يترتّب على هذا التصنيف من المنافع التي لا غنى عنها لمن يُعنى بدروس الشرق المسيحي ل · ش

Album de Paléographie Copte par Henri Hyvernat, *Paris, Leroux*, 1888, 55 Planches.

مجموع خطوط قبطيّة قديمة

هو مجموع نفيس عُني بنظم سلكهِ حضرة الاب العلّامة هنري هيڤرنات مدرّس اللغات الشرقيّة في كليّة واشنطون وقد زار لذلك اعظم الخزائن الكتبيّة في اوربّة كرومية وباريس ولندن فرسم عن مخطوطاتها القبطيّة امثلة بديعة لا تقلّ عن ٥٧ مثالاً نشر صورها بفنّ التصوير الشمسي والحفر معاً · وأحد هذه الامثلة ملوّن بالالوان الزاهية كما هو في الاصل · فجاء المجموع من الطرف الصناعيّة المعدودة يستفيد منهُ العلماء معرفة الخطوط القبطيّة في كل ادوارها مع الوقوف على طرائق تزيين الاقباط لكتبهم في بلاد مصر · فنشكر لحضرة المؤلف هذه الهديّة التي يعرف لها اهل العلم قدرها

OSCAR VON LEMM: I. Der Alexanderroman bei den Kopten: Text, Uebersetzung, Anmerkungen, *St Pétersbourg* 1903, XVIII-161, 2 Pl. = II. Das Triadon; ein sahidisches Gedicht mit arab. Uebersetzung. *Ibid.* 1903, XVII-151, 3 Pl.

رواية الاسكندر بالقبطيّة – المثلّث

تلطّف ناشر هذين الكتابين الاستاذ اوسكار فون لام ناظر المتحف الاسيوي في بطرسبرج فاتحفنا بهما · والكتاب الاوّل يحتوي بالقبطية رواية شهيرة نُقلت الى اكثر

اللغات الشرقية القديمة وهي رواية الاسكندر ذي القرنين عُني الاستاذ المذكور بطبعها عن نسختين قديمتين ألحق بكتابه صورتها ونقلها الى الالمانيَّة وذيَّلها بالحواشي وختمها بمعجم للالفاظ الغريبة — امَّا الكتاب الثاني فهو عبارة عن قصيدة دينية كتبها بالقبطية احد رهبان الصعيد في القرن الثاني عشر او الثالث عشر للميلاد وضمَّنها خلاصة العقائد النصرانية مؤيدًا لها بآيات الاسفار المقدَّسة وبامثلة من اعمال الشهداء. وقد سماها بالمثلَّث لانَّ القصيد ادوار وكل دور يتركَّب من اربعة ابيات ثلاثة منها على قافية واحدة. وفي آخر الكتابة معجمان قبطي عربي وقبطي يوناني. وفي المعجم الاول من الفوائد ما لا يخفى يُسرُّ به الاوربيُّون والاقباط معًا. وبازاء القصيد القبطي ترجمة عربية قديمة هذا مثال منها (ص ١١٥):

هو (المسيح) المتكلم عنَّا في الكتب/ونحن نعلم كلنا انهُ هو/الذي وعد ان يعطينا في السماء الاكاليل والتاج/ ويجلسنا على الكراسي العقليَّة
هو الذي اعطى موسى ذبيحة الابكار/ وجعل كهنوت هارون لايَّام/ فلمَّا كملت اعطى لرسلهِ الاخر ايضًا/ رحمة الروح القدس المعزّي
وهو القائل للاولين لا تسرقوا/ وقال لنا نحن حبُّوا اعداكم/ ثم قال ايضًا الذي يجسر على الروح القدس بتجديف/ لا يغفر لهُ في الدهرين...

الاب الكيس مالون

شذرات

ثيودوروس ابو قرَّة او ابو عزَّة جاء في المشرق (٦: ٦٣٣) ما نصهُ «يستفاد من مقدَّمة كتابات ابي قرَّة انهُ كان اسقفًا على حرَّان المدينة الشهيرة المجاورة للرها. وقد نكر البعض ذلك وقالوا انهُ كان اسقفًا على «قارة» مدينة في فلسطين في عبر الاردن. وقيل ان قارة هذه هي المدينة التي في حدود حمص ودمشق والله اعلم» اه

قلت: ولما كان من ذمَّة العاقل مشاركة الغير بكل ما يعود الى الخير فقد جئت اليوم أُزيل هذه الشبهة واؤيد كلام حضرة الاب لويس شيخو في حلّ هذه العقدة. وذلك ان ابا قرَّة كان حقيقةً اسقف حرَّان على الملكيين. قال ابن النديم في كتاب الفهرست (١: ٢٤) عند تعداد اشهر كتب النصارى وعلمائها ومصنفيها في ما يتعلّق بالانجيل الكريم ما هذا نصهُ: «... وابو عزَّة (هكذا بعين في الاول ثم زاي) وكان اسقف الملكيَّة بحرَّان ولهُ من الكتب كتاب يطعن فيه على أُسطوس الرئيس

(اي نسطورس) وقد نقضهُ عليه جماعة [من علماء النساطرة] اه

امّا الذين يذهبون الى انهُ كان اسقف « قارَة » فهم غير غالطين ايضاً لان هؤلاء نقلوا اللفظة عن اليونانيَّة وهي في هذه اللغة Κάῤῥαι وبالفرنسيَّة Carrhes وهو اسم حرّان لا غير عند الاقدمين الّا انهم غلطوا في قولهم انها من مدن فلسطين او هي المدينة التي في حدود حمص ودمشق . وسبب وهمهم واضح وذلك انهم لمَّا نقلوا Κάῤῥαι بصورة « قارَة » ولم يجدوها في كتب العرب بمعنى حرّان سقط طائر وهمهم على غير الحقيقة اذ وجدوا العرب يقولون في مادَّة « قارة » بتخفيف الراء ما هذا نصهُ : « قارة اسم قرية كبيرة على قارعة الطريق وهي المنزل الاول من حمص للقاصد الى دمشق ولهُ كانت آخر حدود حمص [illegible] دمشق [illegible] كلهم نصارى وهي على راس قارة . . . وبها عيون جارية يزرعون عليها . اه (عن معجم البلدان) . الّا انهم نسوا ان هذه القرية لم يقم عليها اسقف البتَّة كما يتحقق ذلك كل من لهُ اطلاع على تاريخ الكنيسة وآثارها القديمة . وكل هذا التعليل واضح لا يحتاج الى مزيد اثبات وكذلك لم يُسقَّف اسقف على قارة فلسطين . وامَّا كنيته « ابو قرَّة » فقد رأيت ان ابن النديم يُسمّيه « ابو عزَّة » ولعلَّها الصحّي والفصحى والسبب في ذلك على ما نرى انهُ كُني بهذه الكنية لعزَّة براهينه « يقال عزَّهُ اذا غلبهُ في الخطاب اي الاحتجاج » فيكون معنى « ابو عزَّة » الذي لا يُجارى ويُقابلها بالفرنسيَّة (le docteur invicible) . وامَّا الكنية « ابو قرَّة » فنظنها من تصحيف الكتَّاب وذلك لاسباب منها انهم لمَّا رأوا ان كثيرين من عشيرة « قرَّة » من الصابئة الحرّانيَّة اشتهروا بالعلم وهم من اهل حرّان ظنّوا ان هذا السيَر قُلْ من ذلك الاديم فخالفوا بذلك قول ابن النديم . امَّا الذين يضبطون « قِرَّة » بكسر القاف فلعلَّ الذي ساقهم الى هذا الوهم معنى اللفظة وهو البرد . وكذلك ضبطها بالضم لانك اذا قلت : « هذا قُرَّة عيني » فمعناه ما تقرُّ بهِ عيني والعرب اذا وصفت السرور والانبساط عبَّرت عنهُ بالبرد . فقد جاء في معاجمهم : قرَّت عينهُ : بردت سرورًا وانقطع بكاؤها وخفَّ دمعها فيكون معنى « ابي قرَّة » الذي تقرُّ النفس بسماع براهينهِ وقوَّة ادلَّتهِ . وفي هذا التفسير شيء من التكلُّف والتعسُّف ونحن نفضل رواية ابن النديم اي « ابو عزَّة »

الاب انستاس الكرملي

(المشرق) انا نشكر لحضرة الاب انستاس استلفاتهُ لنظرنا الى ما جاء في كتاب الفهرست

لابي الفرج ابن النديم بخصوص ابي قرّة. فلعل هذه الشهادة اقدم ما ورد في حقهِ في كتب العرب. على اننا لا نوافق حضرتهُ في امور: (الاوّل) قولهُ بان بلدة قارة المجاورة لحمص لم تكن كرسيًّا اسقفيًّا. وهو امرٌ مردود فانَّ للملكيين عدَّة اساقفة رُسموا على قارة وذلك حتَّى زمن قريب من عهدنا كالسيد غريغوريوس الحدَّاد اسقف قارة المتوفّى سنة ١٧٩٥. (الثاني) قولهُ بانَّ قارة هي تعريب حرَّان مع انَّ كتبة اليونان الذين ذكروا ثاودوروس ابا قرَّة استدركوا الامر وبيَّنوا انَّ المدينة التي سُقّف عليها ابو قرَّة موقعها في سورية المجوَّفة كما جاء في كتاب الشرق المسيحي للوكيان (٢ : ٨٥٠) Θεόδωρον τῆς κοιλῆς Συρίας (1 Χαῤῥὰν γεγονότα ἐπίσκοπον فلا نعرف مدينة باسم حرَّان في سوريَّة المجوَّفة غير قارة ما لم يُقل انَّها «حرَّان» بلدة في غوطة دمشق ذكرها ياقوت في معجم البلدان ولا تدري من امرها شيئًا (راجع في المشرق ٦ : ٦٢٤ مقدّمتنا على مقالة ابي قرَّة التي نشرها حضرة الاب ق. باشا مع حاشية الصفحة ١٠١٢). (الثالث) لا نسلم بان اسم «ابي قرَّة» تصحيف «ابي مرَّة» فان اسم ابي قرَّة ورد في كتب ولغات متعدّدة. منها نسخة عربيَّة راقية الى زمن قريب من المؤلف (راجع مقالة حضرة الاب معلوف في اقدم المخطوطات النصرانيَّة في المشرق ٦ : ١٠١١) وكذلك ورد اسمهُ باليونانيَّة واللاتينيَّة والسريانيَّة فلا يقبل العقل ان يكون اسمهُ تصحَّف في كل هذه اللغات وعندنا انَّ التصحيف وقع في كتاب الفهرست لانَّ النسخة التي أُخذت عنها هذه الطبعة فريدة وهي سقيمة وكثيرة الاغلاط

توحيد الموسيقى الكنسيَّة للكنيسة الغربيَّة في رتبها الدينيَّة احكام موسيقيَّة قديمة ترتقي الى القرن السابع كما ذكرنا في مقالة عن القديس غريغوريوس الكبير (المشرق ٧ : ٩٩١) على انَّ هذا الغناء الكنسي قد طرأ عليهِ بتوالي الاعصار بعض التغيير لاسيَّما بدخول الحان الموسيقى العالميَّة فيه. وقد سعى الاحبار الرومانيُّون منذ نحو خمسين سنة في تدارك هذا الخلل وردّ الموسيقى الكنسيَّة الى اصولها وقداسة البابا الحالي من اعظم انصار هذا المشروع وقد ابرز في ذلك براءة منذ الشهور الاولى لحبريَّته. وبهمَّته انشئت في رومية جماعة لاصلاح اللحون وتعديل الاصوات. وقد احبَّ قداستهُ بان يستعان لذلك بالاختراعات الجديدة لاسيَّما الفونوغراف فأمر بان تُوسم اخصُّ الالحان المستعملة في الكنائس بعد ضبطها واحكامها وتُرسل الى كل انحاء المعمور لتُضبط عليها اصوات المغنّين في كل البلاد. وقد تولَّت هذا المشروع الجمعيَّة المذكورة المدعوَّة بجمعيَّة الغراموفون (Gramophone Company) وهي قد اعدَّت من هذه الانغام الكنسيَّة قسمًا كبيرًا يمكن ان يُحصل عليهِ امَّا في رومية (Desclée, Lefebvre, Piazza Grazioli) وامَّا في ميلانو (Palazzo Savonelli)

١) وهي تُدعى في بعض النسخ Καρων وباللاتينية Carum

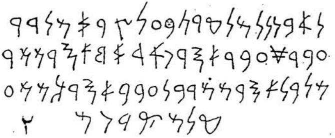
اسئلة واجوبة

س سألنا من مالطة حضرة الخوري جرجس السبلاني انْ نقرأ لهُ الكتابة التي ارسل لنا رسمها كما تراه



كتابة فينيقيّة

ج اعلم انَّ هذه الكتابة اوّل الكتابات الفينيقيّة التي مهّدت السبيل لقراءة الحرف الفينيقي وكان منها نسختان على نُصبَين لما وُجدت في القسم الثاني من القرن السابع عشر في مينا مالطة المعروف بمينا



٢

اوّل كتابة فينيقية مكتشفة في مالطة

١ نصب مالطة الفينيقي المحفوظ في باريس   ٢ نسخة حضرة الاب جرجس السبلاني

هرقلس (Ἡρακλέους λιμήν) المعروف اليوم بمرسى شيروكو . ونُقل النُّصبان الى متحف الآباء اليسوعيين المنسوب الى ايلا فحفظا هناك زمناً ثمَّ أُعطي واحد منهما لفرنسة وهو اليوم في متحف اللوفر والآخر بقي في مالطة يُرى اليوم في متحف لافاليت . والكتابة بلغتين يونانيَّة وفينيقيَّة ترتقي الى القرن الثاني للميلاد فكان ذلك وسيلةً لقراءة الكتابات الفينيقيَّة واوَّل من قرأها الاثريّ الفرنسوي الخوري برتلمي الشهير سنة ١٧٦٤ وممَّا استغربناهُ في نسخة حضرة مكاتبنا انَّ رسمهُ لا يوافق النسخة المحفوظة في مالطة بل النسخة الباريسيَّة فلا نعلم أيكون اخذ صورتها عن مجموع المخطوطات الساميَّة (CIS, I, p. 150) او يكون وقع غلط في تعريف المجموع المذكور . وعلى كل حال انَّ الكتابة المذكورة سهلة القراءة وهذا تعريبها :

السطر ١ لسيدنا ملقرت بعل صور [يهدى هذا النصب] الذي نذرهُ

« ٢ عبدك عبدسر واخوه اسر شمر

« ٣ والاثنان ابنا اسرشمر بن عبداسمو لاستماعهِ

« ٤ لدعائهما . وليباركهما

س وسُئلنا ما اصل الفكاهة الشائعة في اوَّل نيسان المعروفة باسم « سمكة نيسان »

سمكة نيسان

ج مرَّ شرح ذلك في السنة الاولى للمشرق (٣٣٥)

س كُتب الينا من لبنان : هل يوجد طريقة لابقاء الورد طول السنة . وقد سمعنا انَّ لاهل اوربَّة وسائل لابقائهِ فما هي ؟

ابقاء الورد طول السنة

ج انَّ الاوربيين اذا ارادوا ابقاء الورد في كل فصول السنة جعلوا فصائلهُ في مستودعات يُحمونها بدرجات مختلفة من الحرارة . وقد قرأنا في كتاب الفلاحة الرومية : « انَّ الحيلة في ان يبقى الورد طول السنة أن يؤخذ زرُّ وردٍ لم يُفتح بعد فتملأ بهِ جرَّة فخَّار جديدة وتطيَّن رأسها تطييناً محكماً لا يتخلَّلهُ الهواء ويُدفن في الارض فانك تخرج منها الورد متى شئت الى آخر السنة كهيئتهِ حين ادخلتهُ فيها ثم رشَّ عليهِ ماء واتركهُ في الهواء فانهُ يفتح وردًا طريًّا كالذي يُقطف من شجره »

ل . ش